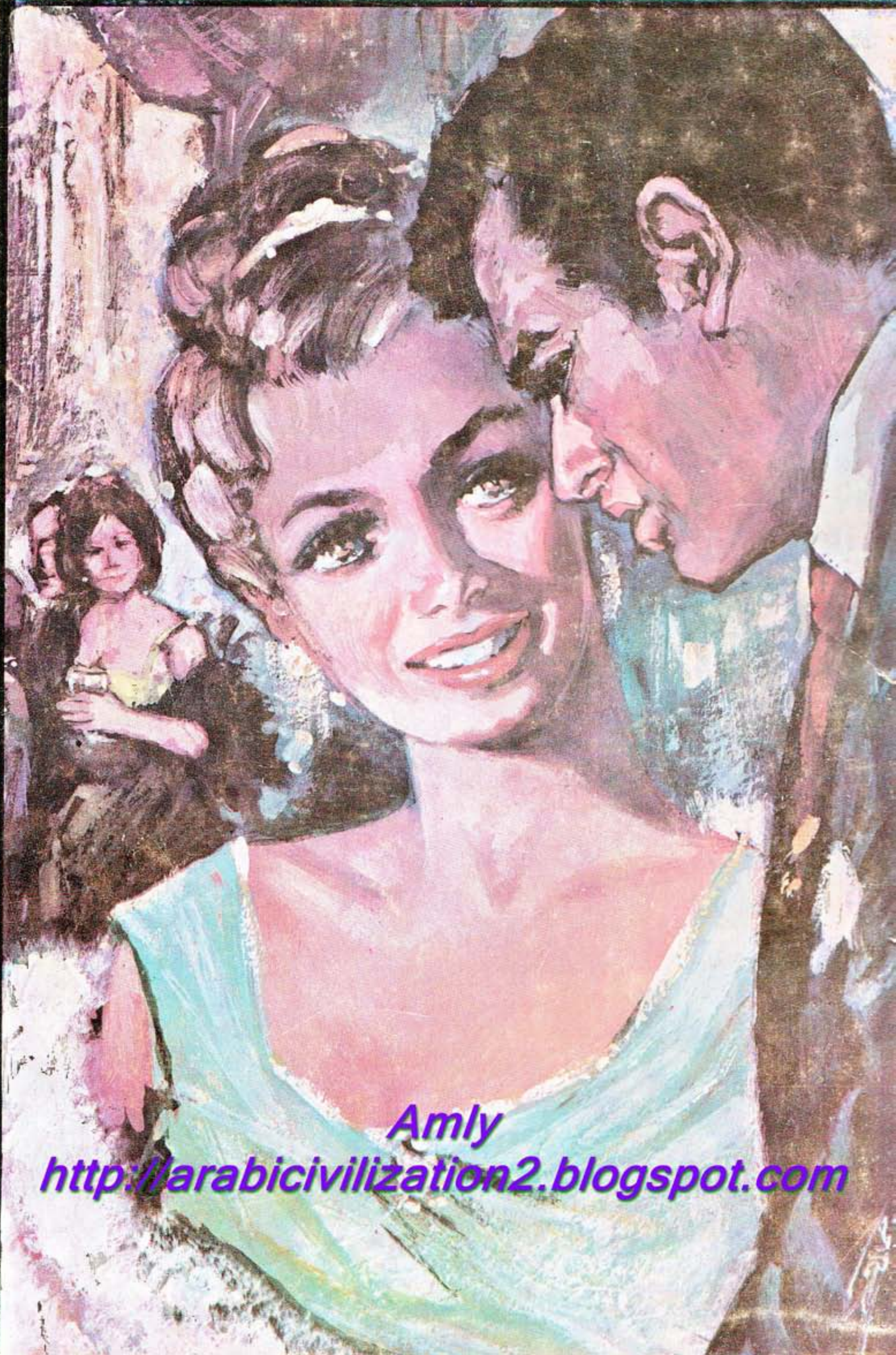
رجال ونساء .. وحبّ!

جون شتاينبك



دار القلم
بيروت - لبنان

رجـــال ونســـــاء ... وحـــب

ص.ب ٣٨٧٤
بيروت ـ لبنان

جونْ شتاينبك

رجال ونساء.. وحبّ!

دار القلم
بيروت - لبنان

الطبعة الاولى
آب (اغسطس) ١٩٧٤
الطبعـة الثانية
تموز – يوليه – ١٩٧٧

مؤلف الرواية

يعتبر جون ارنســـــت شتاينبك من اكبر الروائيين المعاصرين في العالم ، ويرى كثير من النقـــاد انه « سومرست موم الولايات المتحدة » وذلك لتشابههما في طريقـــة العرض العقلي القـــائم على العمق ، وعلى روعة الصياغة ، وبراعـــة التحليل ، والقدرة الفائقـــة على جذب انتباه القارىء الى كل ما يكتبه .

وقد ولـــد شتاينبك في ٢٧ فبراير عام ١٩٠٢ بمدينة ساليناس ، ثم التحق بجامعة ستانفورد عام ١٩١٩ .

وفي عام ١٩٣٠ تزوج كارول هليننج ، وعـــاش معها الـــى ان فصل بينهما الطـــلاق في عام ١٩٤٣ ثم تـــزوج للمرة الثانية من جين كونجر في نفـــس العـــام ، وانجب منها ولدين وابنـــة « توم ، وجون والـــين ســـكوت » .

وقد اشتغل في خـــلال الحرب العالمية محررا ومراسلا حربيـــا في ميادين القتال وقد وضع في هذه الفترة كتابـــين من أعظم الكتـــب التي تناولت مشكلات الحـــرب والسلام وهمـــــا « سقوط القمـــر » في عام ١٩٤٢ و « كاميري راد » في عام ١٩٤٥ .

وجدير بالذكر ان شتاينبك فاز بجائزة بوليتزر للأدب ، وهـــي في امريكا لا تقل شأنا عن جائزة نوبل العالمية .

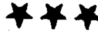
ويقيم جون شتاينبك في الوقت الحـــاضر بنيويورك بالشارع ٤١ قـــم « ١٨ أ » .



ويمتاز شتاينبك بأنه روائي تاريخي وعصـري معا ، فهو ينتقي من سجلات التاريخ حكاية قصيرة ثم يضفي عليها من فنه وبراعته وخياله وقوة تعبيره ما يحيلهـا الـى قصة رائعة اخـاذة تفتـن الالباب . وهو حين يكتب قصة تاريخية ينقل القارىء عبر القرون والاعوام ، ويرسم صورة الماضي حية بـارزة حتى ليخيل لقارئه انـه يعيش في جو هذا الماضي . ومثـال ذلك رواية « سـاحرة الرجـال » التي قدمناها في شـهر يونيه الماضي .

وهو حين يكتب عن العصر الحالي يصوره في أمانة ودقة وبراعة وجمال ، كما فعل في روايتـه هذه التي نقدمها للقراء والتي سميناها « رجال ونسـاء .. وحب » واسمها الاصلي « موقـف الاتوبيس » « The Wayward Bus »

وهذه الرواية التي نقدمها للقـارىء اليوم نالت شهرة عظيمة ، وهي التي جعلت مؤلفها شتاينبك يجلس في مصـاف كبار الروائيين الامريكان في هذا العصـر .



شخصيات الرواية

جون شيكو John Chicoy : صاحب استراحـــة ريبلز كورنر وقائد سيارة عامة

اليس شيكو Alice Chicoy : زوجة جون شيكو

المستر بريكارد Mr. Pritchard : رجل اعمال من شيكاغو

المسز بريكارد Mrs. Pritchard : زوجة المستر بريكارد

فان برانت Van Brant : رجل عجوز من ذوي الاملاك

آرنست هورتون Ernest Horton : مندوب شـــركة لانتاج العاب التســـلية

كاميليا اوكس Camille Aokes : ممثلة في الفرق الاستعراضية

نورما Norma : فتاة تعمل في استراحة ريبلز كورنر

بمبلز Pimples : غلام مراهق يعمل في استراحة ريبلز كورنر

ميلدرد Mildred : فتاة عصرية متحررة هي ابنة المستر بريكارد

الفَصل الأول

ركن الثوار

قبل مدينة سان سيدرو بنحو اثنين واربعين ميلا ، وعلى الطريق الزراعي العام الواقع في الشمال الجنوبي من ولاية كاليفورنيا ، نجد مفترقا للطرق اطلق عليه منذ اثنين وثمانين عاما اسم « ريبلز كورنر » أو ركن الثوار . وترجع تسميته بهذا الاسم الى عائلة من ثوار الولايات الجنوبية في الحرب الاهلية الامريكية عام ١٨٦٢ ، احتمت في هذه المنطقة ، ودافعت عنها ، واستقرت فيها ، واشتغلت بالحدادة والزراعة فترة من الزمن ، ثم انقرض افرادها عن آخرهم دون أن يتركوا وراءهم غير هذا الاسم الذي اطلق على مفترق الطرق في تلك المنطقة .

ومن هذا المفترق للطرق يمتد طريق له منعطفات يمينية نحو الغرب مسافة تسعة واربعين ميلا ، وعندئذ يتصل بطريق زراعي اخر كبير يمتد من سان فرانسيسكو الى لوس انجليس،ومنها بطبيعة الحال الى هوليوود. وعلى هذا فانه يتحتم على كل شخص داخل هذا الوادي الفسيح ، يريد ان يمضي الى الشاطىء في تلك البقعة من الولاية ان يتخذ الطريق الذي

يبدأ من « ريبلز كورنر » ويظل يتلوى بين التلال ، ووسط بقعة صحراوية صغيرة ، ثم داخل الحقول والجبال حتى يصل اخيرا الى الطريق الساحلي العام ، في قلب مدينة سان جوان دي لاكروز .

في هذا المفترق من الطرق المسمى « ريبلز كورنر » نجد بطل قصتنا جون شيكو وزوجته اليس وقد اشتريا مساحة من الارض أقاما عليها محطة لخدمة السيارات ، وكاراجا ، ومطعما ، واستراحة صغيرة ، وورشة لاصلاح ما تصاب به السيارات من عطب . كما حصلا على امتياز نقل المسافرين من ريبلز كورنر الى مدينة سان جوان دي لاكروز على الطريق الساحلي العام .

وتقع القاعة المؤدية الى المطعم وراء مضخات البنزين ، لا تفصل بينهما غير مساحة من الارض المنــزرعة بالزهور ، والمفروشة بالرمال البيضاء النظيفة . اما المقاعد نفسها ، فهي متوسطة الاتساع ، ذات مائدة للخدمة « بنك » ومقاعد مستديرة مثبتة في الارضية امامها ، وثلاث مناضد لمن يريد أن يتناول طعاما بعيدا عن مائدة الخــدمة . وهذه المناضد قلما تستخدم لان الجالس اليها مضطر لان يدفع للمسز شيكو « بقشيشا » اضافيا ، ولهذا يفضل العملاء الجلوس على المقــاعد المثبتة امام مائدة الخدمة مباشرة .

ووراء مائدة الخدمة نرى مجموعة من الارفف ، وعلى الرف الاول نجد شطائر الحلوى ، وكمك جوز الهند ، وبعض الفطائر الجافة . وعلى الرف الثاني نجد علب الحساء المحفوظ ، والبرتقال ، والموز ، وعلى الرف الثالث نجد علب الدقيق ، ومسحوق الارز ، والزبيب ، وغير هذا او ذاك من الحبوب المعبأة . ونجد في احد طرفي المائدة شواية وبجانبها حوض ، وبجانب الحوض زجاجات البيرة والجبن ، وبجانب هذه علب الآيس كريم ، وعلى المائدة نفسها جهاز آلي توضع في ثقبــه النقود فيدير الاسطوانة الغنائية او الموسيقى المطلوبة ، وبجانبه زجاجات الملح والفلفل والخردل والمناشف الورقيـــة ، والعلب الزجاجيــة لعرض الكعــك والفطائر ذات الاغطية المصـــنوعة من اللدائن « البلاستك » . أما الجدران فهي مزينة بعدد من « النتائج » واعلانات المياه الغازية ومصانع الحلوى ، ومزينة ايضا بصور فتيات جميلات شبه عاريات ، بارزات النهود ، طويلات السيقــان ، ضامرات الخصور ، مستديرات الارداف .

وكانت اليس شيكو ــ المسز جون شيكو ــ التي تعمـــل بين صور هذه الفتيات الحسناوات ، سيدة في نحو الاربعين من العمر ، عريضة الارداف ، ذاوية الصدر ، ملفوفة الجسم الى حد ما ، ولكنها لم تشعر أبدا بالغيرة من فتيات هذه الصورة الاعلانية ، لانها لم تر في حياتها من تشبههن في واقع الحياة، وتعتقد انه ليس هناك من رأى في حياته مثلهن. وكانت تقضي سحابة النهـــار وشطرا كبيرا من الليـــل في اعداد السجق ، وقـــلي البيض ، وتسخين علب الحساء ، وضرب الآيس كريم ... فلا عجب اذا كـــان التعب يدب في اوصـــالها اخر النهـــار ، ويؤثر على أعصابها ، ويجعلها تهمـــل زينتها .

وبجانب قاعة الطعام ، نجد الكاراج الذي كان في الاصـــل مصنع الحدادة للعائلة المنقرضة . وفي هذا الكاراج يقيـــم جون شيكو معظم وقته اذا لم يكـــن مشغولا بقيادة سيارته الحافلة بالركاب بـــين ريبلز كورنر ومدينة سان جوان دي لاكروز . وجون شـــيكو هذا رجـــل طويل القامة قوي البنية ، ينحدر مـــن أم مكسيكيـــة ووالـــد أيرلندي ، ويبلـــغ من العمر نحو خمسين عاما ، ولكن من يراه يحســـبه في الاربعين . وهو أسود العينـــين ، ناعم الشعر ، جميل الرأس ، وســـيم الوجه ، ملوح البشرة ، تحبه زوجته بجنون ، وتخشاه بعض الخشية ، لانـــه رجـــل ، ولان الرجال في الدنيا ــ كما تبينت أليس اخيرا ــ قليلون .

وفي هذا الكاراج يعمل جون شيكو في اصلاح الاطارات ، وتنظيف خزانات الوقود ، واعداد ما يلزم لمضخات البنزين ، وغير هذا وذاك من الشئون التي لا مندوحة عنها للخدمة والصيانة في محطة بنزين . وهو يقوم بهذه الاعمال في الاوقات التي لا يقود فيها سيارته الحافلة ، اي قبل العاشرة والنصف صباحا ، وبعد الرابعة مساء . أما فيما بـــين هاتين الساعتين ، فانه يكون مشـــــغولا بقيادة سيارتـــه التي تحمل المسافرين الذين هبطـــوا في ريبلز كورنر ، الى مدينـــة سان جـــوان دي لاكروز ، ثم العـــــودة بغيرهم من هذه المدينة الى ريبلز كورنر حيـــث يستقلون الســـيارة العامة الـــذاهبة الى الشـــمال في تمـــام الساعة الرابعة والخمســـين دقيقة ، او الاخرى الماضية الى الجنـــوب في الخامسة والربـــع .

وعندما يكون المستر جون شيكو مشغولا بقيـــادة السيارة ، يقوم بالعمل في الكاراج غلمان او شبان دون العشرين من العمـــر عادة يتفاوتون

في اظهـــار البراعة والمقدرة على العمـــل ، ولكنهم يتفقون في حـــب الكسل والاهمال والجري وراء البنات . ولهذا قلما كان يبقى احدهم مدة طويلة في هذا العمـــل ، لان جون شيكو ، وهو نفسه رجـل بارع نشط ، كان حريصا دائما على ارضـــاء عملائه ، فلا يطيق أي خطأ يحدث بسبب الاهمـــال او الكســـل .

وكان معظم الغلمان والشبان الذين عملوا معه ، يتخذون من هذا العمل المجرد « محطة » في طريقهم الطويل الى هوليوود حيث تناديهـــم الشهر والثراء ، وحيث تتركز احلامهم في الليل والنهار .

وتقع وراء الكاراج دورتان للمياه منفصلتـــان تماما ، احداهما « للرجال » والثانية « للنساء » وللاولى ممر يؤدي الى يمـــين الكاراج ، وللاخرى ممر يؤدي الى يساره .

ومن معالم هذه البقعة مجموعة من السنـــديان الشامخة المحيطة بالكاراج والمطعم ، لا يعرف احد من أنبتها في تلك البقعة ، وانما المؤكد انها تزيد في العمر عن مائتي عام . وهذه الاشجار البديعة تزود المحطة في الصيف بالظلال الوارفة التي يتظلل بها المسافرون للراحة ولتنـــاول الغداء ، ولتبريد محركات سياراتهم الخـــاصة . وكانت المحطة نفسها جميلة تسر العين ، مطلية باللونين الاخضر والاحمر ، وتدور بها أصص الازهار العاطرة ، وتمتد امامها الرمال البيضاء التي ترش كل يوم بالماء . اما في داخل المطعم والكاراج ، فكان النظام مستتبا ، وكل شيء يسير في دقة وترتيب ، مع الحرص الشديد على النظافة وحسن الرواء .

وكما كان جون شيكو يعاني الشيء الكثير من مساعديه العمال ، الذين لا يكاد الواحد يقيم معه غير اسابيع قليلة حتى يمضي ليحل اخر محله ، كانت المسز شيكـــو تعاني من نفس المشكلة مع مساعداتها مـــن العاملات في المطعم . فالجميلة منهن لا تلبث ان تترك العمل بعد ايام قليلة مع احد العملاء ، ونصف الجميلة لا تكف عن التأوهات وهي تنصـــت الى الاغاني ، ولا تتعب من كتابة الرسائل المطولة الى الممثل المشهور كلارك غيبل ، كما هو الحال مع هذه الفتاة التي كانت تعمل معها عند وقوع أحداث هذه القصة ..

انها الفتاة نورما التي يملأ كلارك غيبل خيالها ، ويجعلها هدفا طيبا لقذائف لسان المسز اليس ، لا سيما عندما تكون هذه الاخـــيرة متعبة الاعصـــاب .

ونظام العمل في المحطة لا يتغير في الصباح . فعندما تشرق الشمس ، وربما قبل ان تشرق في الشتاء — تكون اليس قد أعدت ابريق القهوة الضخم لاستقبال أصحاب وسائقي السيارات الخاصة او سيارات النقل البري ، او مندوبي اقسام البيع والتوزيع في الشركات الذين يبدأون السفر ليلا حتى تتسع ساعات النهار لنشاطهم الموفور . وكان هؤلاء وهؤلاء يجدون في قاعة المطعم ، وفي تلك الساعات المبكرة ، الراحة والدفء والافطار الشهي . ثم يبدأ السائحون وغيرهم من المسافرين في الوفود بعد شروق الشمس ، اما لتناول الطعام ، او لشرب القهوة ، للسؤال عن اتجاه الطريق .

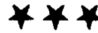
وكان السياح او المسافرون الوافدون من ناحية الشمال لا يهمون نورما في قليل او كثير ، وانما كان اهتمامها يتركز في الوافدين من الجنوب ، من مدينة سان جوان دي لاكروز ، لان الاحتمال كبير في انهم مروا في طريقهم بهوليوود ، كعبة آمالها ، ومثابة فارس احلامها . اذ من يدريها ، فانها قد تجد بينهم من رأى كلارك غيبل وجها لوجه . وكانت نورما تبدأ رسائلها المطولة الى غيبل بهذه العبارة « عزيزي المستر غيبل » ثم تختتمها قائلة « حبيبتك المجهولة » . وكانت ترتعد بالانفعال وهي تكتب الكلمتين الاخيرتين ، وكانما تتوقع ان يعرف « غيبل » من هي هذه الحبيبة المجهولة .

وفي بعض الاحيان كان تمني النفس بانها سوف ترفع عينيها الحالمتين — يوما — وهي تمسح مائدة الخدمة وتلمعها — فترى الباب يفتح ، ويدخل منه فارس احلامها « غيبل » ويقف متسمرا في مكانه حين يراها ، ويفتح فمه دهشة لجمالها ، وتقول عيناه بوضوح : « آه ، هذه هي فتاة احلامي » .

وعند هذا الحد كانت احلام نورما تتوقف ، لانها من النوع الشديد الحياء والخجل . وعدا هذا لم تكن في تلك السن ، التاسعة عشرة من العمر ، قد عرفت بعد كيف تمارس الحياة الزوجية . وكانت مظاهر الحب الجنسي في حياتها لا تعدو صراعا عنيفا متصلا مع الذين يحاولون اغتصابها رغما عنها ، فيمزقون ملابسها ، ولكنها كانت في كل مرة تخرج ظافرة منتصرة ، وكانت تعرف في قرارة نفسها ان « غيبل » لا يمكن ان يفعل هذا معها ، لانه رجل مهذب . ولم تكن نورما بارعة الجمال ، كما لم يكن شكلها منفرا ، فهي فتاة لا تخلو من الجمال اذا انت جلست معها

مرة بعد مرة وجعلتها تالفك وتطمئن اليـــك . فهنا تلتمع عيناها الواسعتان بالحنين ، وتفتر شفتاها الورديتان عن ابتسامة فيها طفولة وايناس ، وربما اضطرب صدرها البارز قليلا عندما تطيل نظراتك الى عينيها .

وكانت تمتلك قطعتين من الحلى ورثتهما عن امها ، سوار من الذهب المنقوش ، وقـــلادة من اللؤلؤ المزيف والمحـــار . ولكنها كانت تعتز ، الى حـــد الجنون ، بقطعتين اخريين من الحـــلى اشترتهما من مالها الخاص : دبلة زواج ، وخاتم زواج مرصع بقطعـــة كبـــيرة من الماس المقلد وكانت شديدة الحرص على اخفاء هاتين القطعتين اثناء النهار في قاع حقيبة ملابسها التي لا تتركها مفتوحة ابدا ، حتى اذا جن الليل ، وضعت الخاتمين في اصبعها الخنصر ، ونامت وعلى شفتيهـــا ابتسامة راضـــــية .



اما غرفات النوم في المطعم ، فكانت قليلة وبسيطـــة وبعيدة عن الانظـــار . ففي جانب الجدار الواقع وراء مائدة الخـــدمة ، يوجد باب يؤدي الى ممر صغير ينتهي بغرفة نوم جون شيكو وزوجتـــه . وهي تحتوي على سرير عريض لشخصين ، ومنضـــدة ، ومتكأ مريح ، وثلاثة مقاعد ، ومصباح ذي ظلة خضراء ، وعلـــى الارضية سجـــادة من نـــوع جيـــد .

وتؤدي هـــــذه الغرفة الى غرفة نوم نورما مباشرة ، وذلك ان المسز اليس كانت حريصة على رعاية الفتاة التي تعمل معهـــا في هذه الناحية الاخلاقية ، وترى انها مسئولة عنها بطريقة مباشرة . ومن ثم كان على نورما أن تمر بغرفة اليس عند دخولها الى غرفتهـــا او عند الخروج منهـــا . اما الحمام الصغير ، فكان يقع في الممر .

الفصل الثاني

جون شيكو

كانت فلول الليل في النزع الاخير عندما سار جون شيكو حاملا المصباح الى باب الكاراج . وكان الشـاب « بمبلز » يسير وراءه مترنحا وعيناه مثقلتان بالنوم ، ويداه في جيبي سرواله ، وجسمه النحيـل يرتعد من الهواء البـارد المثقل بعبير الزهور ورائحة الحقول ، والذي كان يهب من الشمال عبر التلال والحقول .

وتناول شيكو من جيب ملابس العمل حلقة مفاتيح ، اختار منها مفتاحا كبيرا وفتح باب الكاراج ، ثم اضاء المصباح الكهربائي الذي يتوسط السقف ، واطفأ المصباح الذي كان يحمله ، ثم تناول مجموعة من الآلات والادوات . وراح يختار منها ما يحتاج اليه ، بينما وقف بمبلز كارسون بجانبه ، معتمدا بمرفقه على منضدة للعمل ، يرقبه ، في تكاسل وصمت ، ويحاول جاهداً ان يطرد بقايا النوم من عينيه .

وكان بمبلز غلاما في نحو السابعة عشرة من عمره ، طويل القامة ، نحيل الجسم ، ضيق الكتفين ، شاحب لون العينين ، يمتلىء وجهه المستطيل بحب الشباب المزمـن الـذي جعـل اهله ومعارفـه يطلقـون عليـه

« بمبلز » ، والذي اكد له الاطباء انه سوف يزول بعد ان يتجاوز الثانية والعشرين من عمره ، ولكنه مع هذا لم يكف عن شراء الادوية والمراهم التي يقرأ عن فائدتها في ازالتها .

وكان في ذلك الصباح يرتدي سترة جلدية من النوع الذي يرتديه راكبو الدراجات البخارية في المسافات الطويلة ، وسروالا ضيقا ازرق اللون ، ونعلا خفيفا له أربطة تدور حول أعلى القدمين . ووضع جون شيكو ما اختاره من آلات وادوات في كيس جلدي ثم قال لبمبلز :

ــ هات مصباح العمل ذا السلك الطويل واتبعني الى السياره يا بمبلز . هلم استيقظ وافتح عينيك واطرد بقايا النوم عن رأسك .

وانتفض بمبلز كما يفعل الكلب الكسول ، ثم قال :

ــ يبدو ان النوم يريد ان يغلبني على أمري .

ــ دعك من الكسل ، وهلم احمل المصباح واللوح الخشبي ، فقد آن لنا ان نفرغ من اصلاح تروس السيارة .

وتناول بمبلز المصباح الكهربائي الموضوع داخل شبكة من اسلاك الحديد تحفظه من الكسر ، وراح يكر سلكه الطويل المغلف بالمطاط .

ثم وضع « الكيس » في « الفيشه » القريبة من باب الكاراج ، وحمل بيده الاخرى اللوح الخشبي المبطن بالمطاط الذي يوضع عادة تحت السيارة عند اصلاحها لينام عليه من يقوم بعملية الاصلاح . ولكنه ما كاد يبتعد قليلا عن الكاراج في الطريق الى السيارة حتى هتف قائلا حين شعر بقوة الريح الباردة تزداد :

ــ يا للسماء ، انها اذا امطرت فسوف تزيد الامور تعقيدا !

وكانت قمم الجبال في الشرق قد بدأت تنكشف قليلا مع الفجر الزاحف ببطء ، وكان ضوء المصباح ينعكس على الارضية المفروشة بالرمال ، ويكشف عن اوراق اشجار السنديان المتساقطة . ووضع بمبلز اللوح تحت الجزء الخلفي من السيارة الحافلة وهو يكرر القول :

ــ انها اذا امطرت ...

فقاطعه جون شيكو قائلا :

ــ ان المطر لا يهمني في الوقت الحاضر ، وانما المهم هو اصلاح هذا الترس الذي انكسر ثم تهدئة ثائرة الركاب الذين اضطروا الى قضاء الليل هنا .

وكان الجزء الخلفي من السيارة مرفوعا عن الارض قليلا فوق

حمالتين من الروافع الخشبية ، وكانت العجلتان الخلفيتان مفصولتين عن محاورهما ، وغطاء المحرك ــ الواقع في مؤخرة السيارة ــ مرفوعا ايضا ، وعلى الجملة كان كل شيء معدا لعملية الاصلاح .

وقال جون الى بمبلز وهو يرقد على اللوح تحت السيارة :

ــ قرب المصباح مني يا بمبلز ، نعم هكذا اذكر اني وضعت ترسا جديدا ذات مرة في محور قديم ، فتحطم بعد ساعات قليلة من الاستعمال .

فقال بمبلز :

ــ ان صوت تحطم الترس يجعل الانسان يضرس ، ثم يشعر ان شيئا ما تحته قد انفلت . ترى ، ما الذي جعل هذا الترس يتحطم يامستر شيكو ؟

فقال شيكو وهو يبدأ في العمل :

ــ لأدري ان هناك اشياء كثيرة لا يعرفها الانسان عن خصائص المعدن . انظر مثلا الى مصانع فورد ، انها تنتج السيارات بالمئات في اليوم الواحد ، ولكنك تجد في كل مائة سيارة اثنتين او ثلاثة رديئة جدا مع انها خرجت من نفس المصنع ، وصنعت بنفس الآلات ، ومن نفس المعادن ؟ والعجيب ان دائرتها لا تقتصر على جزء معين منها او بضعة اجزاء ، وانما تشملها كلها ، فاذا كل واحدة منها تنهار تماما بعد بضعة اسابيع او شهر من استعمالها . وفي الوقت نفسه تجد في كل مائة ثلاث او اربع سيارات تمتاز بمتانة مذهلة ، دون سبب معروف فتظل الواحدة منها سليمة تماما سنوات وسنوات دون أن يحتاج صاحبها الى اصلاح شيء فيها .

فقال بمبلز :

ــ كانت لدي واحدة من هذا النوع ، بعتها اخيرا واعتقد انها ستظل سليمة سنوات عديدة . واذكر اني لم اصرف عليها مليما طيلة السنوات الثلاث التي ظلت فيها ملكا لي .

فقال جون :

ــ ان المعدن عنصر عجيب . ويخيل لي انه يتعب احيانا .. حسنا .. قرب المصباح نحو الجانب الايسر ، اعلى قليلا . والان ناولني المفتاح الكبير .

وقال بمبلز بعد برهة من الصمت :

ــ ارجو أن تتمكن من تسييرها اليوم . لاني أريد أن اقضي ليلة اخرى نائما على مقعد غير مريح .

فأرسل جون شيكو ضحكة قصيرة ، وقال :

ــ ارايت في حياتك اشخاصا اشد جنونا من أصحابنا هؤلاء عندما اضطررنا للعودة الى المحطة بعد تحطم الترس . ان من يراهم عندئذ ليظن انني كسرت الترس عن عمد لكي يقضوا الليل عندنا ! ويبدو انهم ظنوا هذا ايضا ، ومن ثم راحوا يصبون غضبهم على المسكينة اليس طيلة المساء وكانما هي المسئولة عما حدث . والواضح أن الناس بوجه عام لا يحبون ان يعوقهم شيء اثناء السفر .

وهز بمبلز كتفيه وقال :

ــ ايا كان الامر فقد ناموا في اسرتنا ، فلماذا يضجون بالشكوى ؟ ان الذين من حقهم ان يتذمروا ، هم انت وانا واليس ونورما ، لاننا امضينا ليلنا نائمين على المقاعد . واعتقد ان اسرة بريكارد كانت اشدهم تذمرا وضجيجا ، ولست اعني الفتاة ميلدرد ، وانما اعني والديها العجوزين . ان والدها العجوز يظن اننا نريد ان نسرقه ، ولهذا لا يكف عن تذكيري بانه رئيس شركة او هيئة او ما لست ادري ماذا ، وانه سيعرف كيف يجعلنا نندم على ما اقترفنا في حقه ، وقد نام هو وزوجته في سريرك يا سيدي ، فاين نامت اذن ابنتهما ميلدرد ؟

فقال جون :

ــ اظن على المتكا ، او ربما مع ابويها . اما صاحبنا مندوب شركة العاب التسلية فقد نام في غرفة نورما .

فقال بمبلز :

ــ انني اميل الى هذا الشاب ، فهو لم يتذمر او يشكو ، وانما قال ان ظروفا لا يسع الانسان فيها الا أن يرضى بما هو مقدر عليه . اتعرف الى اين تريد اسرة بريكارد أن تذهب ؟ الى المكسيك في رحلة تستغرق اسبوعين ، وميلدرد سوف تقوم بالترجمة لهما لانها درست الاسبانية في الجامعة .

وفجاة سطع الضوء الكهربائي في المطعم ، فالتفت جون اليه وقال :

ــ لقد استيقظت اليس ،هذا يعني ان وقت شرب القهوة قد ازف ، هلم

يا بمبلز ، تعال وساعدني في تركيب هذا المحور ، لقد اوشكنا على الفراغ .

وفيما كان ضوء الفجر يتسلل بالنور والدفء على المنطقة ، قال بمبلز متسائلا :

ـ ترى كم عدد المسافرين الذين ستحملهم سيارة شركة كريهاوند الينا في الصباح ؟

وفجأة استبدت به فكرة طارئة نبعت من شعوره الطيب نحو المستر شيكو . ومن ثم وجد نفسه يقول مترددا :

ـ مستر شيكو ؟

وتوقف جون عن العمل برهـة وقد ادرك ما في لهجة بمبلز مـن رجاء ترى اي شيء يريد الغلام الان ؟ اجازة ام زيادة في الاجر !

وظلُ بمبلز صامتا كأنما يعجز عن النطق بما يريد ، فقال له جون :

ـ هه ! ماذا تريد ؟

ـ هل .. هل يمكن ان نتفق يا مستر شيكو ـ نتفق على الا تناديني باسم بمبلز مرة اخرى ؟

فارتسمت امارات الاندهاش برهه على وجه جون ، ولكنه لم يلبث ان استدار بوجهه الى عمله ثم قال ببطء :

ـ وما هو اسمك الحقيقي اذن !

ـ آد . أدوارد كارسون،وامت بصلة القرابة للسناتور كيت جارسون، وقد كان زملائي في المدرسة الابتدائية يسمونني باسم قريبي هذا ، اي كيت

وكان يتحدث بصوت هادىء ، ولكن صدره كان يرتفع وينخفض بسرعة وانفاسه تتردد بصوت مسموع .

وقال جون وهو يثبت المحور الاخير في الترس :

ـ حسنا ! والان ، جهز الشحم والزيت .

واسرع بمبلز الى الكراج ، ثم لم يلبث ان عاد بعلب الشحم وبخرطوم الزيت . وبعد ان فرغ الاثنان من هذه العملية ، قال جون للغلام :

ـ كيت ، نظف يديك وانظر هل اعدت اليس القهوة . ارجوك .

وسار بمبلز في هدوء نحو باب قاعة الطعام ، وقبل ان يصل اليه ، وقف تحت سنديانة وهو يحس بدفء البهجة يسري في دمائه .

والتفت نجاة نحو جون الذي كان قد بدأ يخرج من تحت السيارة ، ثم قال في صوت هامس :

ــ بارك الله فيك يا جون ، انك لرجل طيب القلب حقا .

***

الفصل الثالث

اليس شيكو

عندما اطل قرص الشمس من وراء قمم الجبال في الشرق ، نهض جون شيكو واقفا بجانب السيارة ، ومسح القذر عن وجهه ويديه ، ثم تقدم نحو باب مقعد السيارة وادار مفتاح المحرك ، ثم ضغط براحة يده على صمام «المارش» ، فصدر ازيز خفيف فاذا بالمحرك يلتقط الشرارة الكهربائية فيدور وضغط جون على صمام البنزين قليلا ، وارتفع في الجو هدير المحرك برهة ثم رفع يده وتركه يدور برتابة وتنغيم . ونظر الى العجلات الخلفية المرفوعة عن الارض وهي تدور في الهواء ، ثم تنهد في ارتياح وهو يسمع حركة المحرك الرتيبة المنعمة .

وفي الوقت نفسه ، تقدمت اليس شيكو — والعتب يبدو على وجهها بسبب نومها على المقعد طيلة الليل — وفتحت باب قاعة الطعام ، ووقفت برهه تنظر الى السيارة المتالقة في ضوء الشمس ، وتنصت الى هدير المحرك وترقب العجلات الخلفية وهي تدور في الهواء ، ثم عادت الى مكانهـا وراء مائدة الخدمة ، واغلقت صمام الموقد الذي كان ابريق القهوة فوقـه ، ثم مسحت سطح المائدة بالمنشفة نصف المبللة ، وهنا لاحظت ان جانبا من كعكة

جوز الهند الموضوعة على الوعاء الزجاجي قد اقتطع اثناء الليل .

ودخل بمبلز ورائحة الشحم والوقود تفوح منه ، وجلس على احد المقاعد المستديرة المثبتة امام مائدة الخدمة ، وقال باسما :

ــ لقد فرغنا من اصلاحها والحمد لله .

فقالت اليس في تهكم :

ــ فرغتم ؟ انت ومن ؟

ــ أوه ، اعني المستر شيكو طبعا . لقد قام بكل النواحي الفنية في عملية الاصلاح . حسنا ، ارجو ان تعطيني الان قدحا من القهوة وقطعة من كعكة جوز الهند .

فقالت وهي تزيح خصلة من الشعر عن عينيها :

ــ لقد اخذت جزءا منها اثناء الليل ، وهذا يكفي .

ــ اضيفي ثمن ما اخذته في قائمة حسابي ، انني ادفع ثمن ما آكله هنا ، اليس كذلك ؟

ــ نعم ، ولكن لماذا لا تكف قليلا عن اكل الحلوى طيلة النهار ؟ اراهن ان اكثارك من اكل الحلوى هو السبب في كل هذه البثور التي تملأ وجهك لماذا لا تريح معدتك منها ؟

فنظر بمبلز الى اصابعه التي تحمل اثار العمل ، ثم قال :

ــ ان الحلوى من الاطعمة التي تزود الانسان بالكثير من الطاقة الحرارية والنشاط ، والرجل الذي يعمل كثيرا يحتاج دائما الى مثل هذا النوع من الاطعمة ، ولهذا فانها تقدم للعمال في الساعة الثالثة بعد الظهر ، اي عندما تبدأ طاقة النشاط في الهبوط . وانا اعتقد يا مستر شيكو انك في حاجة الى طعام من هذا النوع اليوم .

فردت عليه بجفاء قائلة :

ــ ان حاجتي الى طعام كهذا مثل حاجتك الى . . .

ولم تتم الجملة ، وتركته يفهم منها ما يريد ، ثم صبت بعض القهوة وبعض اللبن في قدح كبير ، ودفعت به الى بمبلز عبر مائدة الخدمة . ونظر الغلام برهه في شرود ذهني الى صورة الفتاة العارية المرسومة على لوحة اعلان بالقرب من جهاز الموسيقى والاغاني ، ثم وضع في قدحه اربع ملاعق صغيرة من السكر وراح يقلبها ، وهو يقول باصرار :

ــ اريد قطعة من كعكة جوز الهند .

ــ آه ، حسنا ، أنت وشأنك ، واخشى ان تصاب بمرض البول السكري يوما .

واختلس بمبلز نظرة الى قوام اليس الجميل ، ثم اشـــاح بوجهه في سرعة قبل ان تلمحه اليس ، واخيرا قال وهو يلتهم قطعة من الكعكة المقدمة اليه :

ــ الم يستيقظ هؤلاء الناس بعد ؟

ــ لا لا ، ولكني سمعتهم يتحركون في غرفاتهم ، ويبدو ان احدهم قـــد استعمل الماء الساخن الموجود في الخزان .

ــ لابد انها ميلدرد .

ــ ماذا ؟

ــ اعني الفتاة . لعلها استحمت بهذا الماء .

فحدقت النظر في وجهه وقالت بحزم :

ــ ركز تفكيرك في طعامك الموفور بالطاقة الحراريـــة ولا تشغل نفسك بأمور اخرى !

ــ اوه ، انني لم اقصد شيئا ما ، ان في هذه الكعكة ذبابة .

وحملقت المسز شيكو في صحنه ، فوجدت لدهشتها ذبابة تتلوى ، فغمغمت قائلـــة :

ــ عجبا !

ــ انها لا تزال ترفس .

وتناولت السيدة صحن الكعكة والقت بما فيه في صندوق القمامـــة وراءها ، ثم نفضت يديها وتلفتت حولها كأنما تبحث عن المنفذ الذي جاءت منه الذبابة .

وقال بمبلز :

ــ وماذا عن قطعة كعكتي ؟

ــ لسوف اعطيك قطعة أخرى بدلا منها ، ولست ادري لماذا انت الذي يسقط الذباب في طعامك ؟ !

ــ لاني سعيد الحظ دائما .

ــ ماذا ؟

ــ اقول لاني . . .

فقالت وقد بدأ توترها العصبي يزداد :

ــ سمعت مـــا قلت ، ويحسن ان تحذر في اقوالك والا وجدت نفسك

خارجا من هنا بأسرع ما ينطلق الخائف من النار العالقة بملابسه . فأنا لا يهمني ان كنت ميكانيكيا بارعا ام لا ، وانما انت في نظري مجرد غلام ثرثار .. دميم الوجه .

وكان بمبلز يحني رأسه امام غضبها المتزايد وهو مندهش لهذه الثورة النفسية المفاجئة ، واخيرا قال مضطربا :

ـ انني لم اقل شيئا ، الا يستطيع الانسان ان يمزح قليلا ؟

وادركت اليس انها بلغت من الناحية النفسية هذه النقطة التي قد تنطلق بعدها في ثورة عصبية تشمل كل كائن حي حولها ، او ان تتمالك نفسها وتخفف من حدة توترها ، وتعود الى الهدوء تدريجيا . واخذ عقلها يحلل الموقف بسرعة :

ان زوجها ايضا لم يقض ليلة مريحة ، وقد بذل جهدا عنيفا لاصلاح السيارة ، وان عليه ان يمضي بها في الموعد المحدد بعد وصول سيارة شركة جريهاوند ، فاذا هي آثارت ضجة لا مبرر لها ، فانه قد يثور ايضا ويضربها . وقد ضربها ذات مرة ، ولم تكن الضربة عنيفة ، وانما كانت من القوة بحيث ظنت انها ستقتلها . ثم هناك الخوف الذي لا يفارقها ابدا ، الخوف من ان يهجرها جون ذات يوم . لقد عاش مع نساء كثيرات وهجرهن ولكنها لا تعرف كم عددهن ، لانه لم يتحدث عنهن ابدا . ولكن رجل له مثل جاذبيته لابد وان يكون قد عرف في حياته نساء كثيرات . لقد خطر لها هذا كله في لحظة خاطفة ، قررت بعدها ان تهدىء من ثائرتها ، وان تتمالك اعصابها وسرعان ما لانت ملامح وجهها ، فتناولت السكين وقدمت لبمبلز قطعة كبيرة من الكعك ، وهي تقول في شبه اعتذار :

ـ ان اعصابنا جميعا متوترة اليوم .

فرفع بمبلز عينيه اليها بسرعة ، ولمح بعض تجاعيد السن على عنقها . ولاحظ غلظة اجفانها ، ورأى يديها وقد فقدت طراوتهما وليونة اصابعهما واحس بالاسف من اجلها . لقد ادرك فجأة ان شبابها ولى ، والشباب في رأيه هو الشيء الوحيد المهم في الحياة ، فاذا ضاع ، ضاعت معه الحياة . لقد نال في ذلك الصباح نصرا عظيما مع جون ، وها هو ذا الان يرى ما يبدو على اليس من ضعف وتردد فلماذا لا ينتزع نصرا آخر ؟ وعندئذ قال :

ـ لقد اكد لي المستر شيكو أنه لن يناديني باسم بمبلز مرة اخرى .

ـ لماذا ؟

ـ لاني طلبت منه الا يناديني بهذا الاسم . انني ادعى ادوارد ، وكانوا

في المدرسة يسمونني كيت ، أي باسم قريبي السناتور كيت كارسون .

ــ وهل يناديك جون باسم كيت ؟

ــ نعم .

ولم تفهم اليس في الواقع ماذا يقصد بمبلز . وكانت في الوقت نفسه قد سمعت حركه في غرفة النوم وراءها ، سمعت وقع اقدام واصوات حديث خافتة . ولما اصبحت الان شاعرة بوجود هؤلاء الغرباء ، احست بمزيد من الميل الى بمبلز ، لانه ليس بالنسبة اليها غريبا . ومن ثم قالت :

ــ حسنا ، سوف اناديك باسمك .

وكانت الشمس المشرقة قد بدأت في خلال هذه الفترة تغيب وراء سحب متكاثفة بسرعة ، وفجأة قصف الرعـــد من بعيد ، فمضى بمبلز الى الباب وفتحه واطل برأسه الى الخارج ، ثم لم يلبث ان تراجع بسرعة حين وجد الامطار قد بدأت تنهمر بغزارة متزايدة . وقبل ان يغلق الباب لمح جون وهو يحتمي من المطر المفاجيء داخل السيارة التي كانت عجلاتها الخلفية لا تزال تدور في الهواء ، ثم رآه وهو يثب منها ويسرع الى قاعة المطعم ، فبادر هو ــ أي بمبلز ــ الى فتح مصراعي الباب لجون الذي مرق منهما مسرعا ، ولكن ملابس العمل كانت قد تبللت رغـــم المسافة القصيرة الواقعة بين السيارة والباب .

وقال جون وهو ينفض بعض قطرات المطر عن ملابسه :

ــ ياالهي ، انها لامطار غزيرة مفاجئة .

وحجب جدار المطر الرمادي منظر الجبال البعيدة ، وملأ المكان بضوء معدني قاتم ، واثقل اوراق الزهور فانحنت تحت وطأته، ولم تلبث الارض ان شبعت به ، فأخذ الفائض منـــه يجري في جداول صغيرة متشعبـــة الى الاماكن المنخفضة ليتجمع فيها ويصنع بركا صغيرة ، وظل الرعد يقصف بشدةفوق سقف قاعة الطعام في ريبلز كورنر .

وكان جون قد جلس الى مقعد بالقرب من احدى النوافذ ، وراح ينظر الى وابل المطر المنهمر ، وهو يشرب القهوة الممزوجة باللبن ويمضغ قطعة من فطير جوز الهند . ولم تلبث نورما ان اقبلت وراحت تغسل الاطبـــاق القليلة في الحوض الصغير النظيف الواقعوراء مائدة الخدمة .

وقال جون لها :

ــ اتسمحين لي بقدح قهوة آخر ؟

فتقدمت نحوه من الجانب القريب من مائدة الخدمة ، وفيما هي تقدم

اليه قدح القهوة ، ارتعدت يدها وانسكب قليل منها في الصحن ، فتناول جون فوطة من الورق الخفيف وازال بها القطرات المسكوبــة وهو يقــول للفتاة المضطربة في رفق :

ــ انك لم تنالي كفايتك من الراحة الليلة ؟ اليس كذلك ؟

وكان وجه الفتاة شاحبا يبدو عليه الارهاق ، وثوبها مكمشا ، وترتسم عليها هذه السمات التي تنم على انها ستفقد شبابها قبل الاوان . وقد اجابت على جون قائلــة :

ــ لم استطع النوم كثيرا هذه الليلة ، حاولت ان انام على الارض ، فلم استطع .

ــ حسنا ، سنبذل الجهد حتى لا يتكرر ما حدث الليلة ، كان ينبغي ان استأجر سيارة لتمضي الى سان سيدرو .

وقالت اليس وقد بدأت اعصابها تتوتر مرة اخرى :

ــ انني لا ادري لماذا اصررت على السماح لهم بالنوم في اسرتنا ؟ هل كانوا هم الذين سيقومون بالعمل اليوم ؟ اما كان يكفي أن يناموا هم على المقاعد ؟

فقال جون بهدوء :

ــ آه ، فاتتني هذه الحقيقة .

ــلم يهمك كثيراً ان تعطي سرير زوجتك لينام عليه الغرباء . ولعلك لــم تتردد في ان تعطيه للغير في اي وقت آخر ..

وشعرت اليس أن زمام اعصابها يوشك ان يفلت من يديها مرة اخرى وان نيران الغضب تندلع في صدرها . ولم تكن هي تريد ان تفقد السيطرة على نفسها حتى لا تفسد كل شيء في يومها ذاك .

وفي هذه اللحظات كان المطر ينهمر علىسقف المطعم المنحدر ذي الجوانب المصنوعة من الاجر ، وكانت نقراته على السقف تزداد لحظة بعــد اخرى هذا وجون جالس يتأمله من وراء النافذة وقد ارتسمت على شفتيه هذه الابتسامة الخفيفة الشاحبة التي تخشاها اليس . وكانت تعرف ، بالتجربة ، انه حين يبتسم هكذا ، فهذا يعني أنه ينظر اليها على انها «عينة» مــن النساء .. على انها امرأة غاضبة بين ملايين النساء الائي يغضبن كل يوم ، والائي ينبغي ان يكن موضع الدراسة والتحليل والتسلية . وكانت تعرف ايضا ان الفارق بينها وبينه كبير في النظر الى الامور . فبينما هو يملأ عليها حياتها ويحجب عنها كل شيء عداه ، كانت هي ــ كما تحس ــ لا تحجب عنه

شيئا . انها تشعر انه لا يراها فقط ، وانما يرى خلالها ، ويرى ما حولها ، وانها لتذكر ما شعرت به من فزع حينما ضربها اول مرة ، انها لم تفزع من الضربة نفسها ، بل على النقيض ، لقد شعرت بعدها بالرضا والابتهاج والاثارة العاطفية ، وانما الذي افزعها حقا ان جون ضربها وكأنما هو يسحق حشرة صغيرة لا قيمة لها . انه لم يهتم كثيرا بعد ذلك ، بل انه لم يكن غاضبا جدا حين ضربها ، وانما كان فقط متوتر الاعصاب ، وكأنما اراد ان يقول لها «اسكتي» . ولم تكن اليس تريد في ذلك الحين الا ان تجذب انتباهه اليها كما ارادت الان . ولكنها ادركت من نظرات عينيه انهانفلتت منها . واخيرا قالت بصوت متردد :

ــ لقد جاهدت في تأثيث غرفة نوم جميلة لنا . . غرفة بسجادة ، ومتكأ وستائر ، ومقاعد وسرير كبير ، ثم اذا بك تقدمها هكذا ببساطة الى مجموعة من الغرباء ليناموا فيها ، هذا بينما تترك زوجتك تقضي الليل كله على مقعد !

ورفع جون عينيه الى نورما وقال :

ــ نورما ، هاتي قدح قهوة اخر ، واكثري من اللبن فيه ارجوك .

واحست اليس بالغضب يفور في نفسها ، ولكن جون التفت اليها وقد تغيرت نظرته مرة اخرى ، مما جعلها تشعر انه في هذه المرة يراها حقا ، وفجأه ابتسم وقال برفق :

ــ ان ما حدث في الليلة الماضية لا يضيرك ، فانه سيضاعف متعة النوم في الفراش هذه الليلة .

وكتمت انفاسها فجأه ، وغمرتها موجة حارة جعلت غضبها يتحول فجأه الى رغبة جنسية ، فابتسمت في عينيه ، ولعقت شفتيها وقالت هامسة بصوت يسيل رقة ونعومة :

ــ ياخبيث !

ثم تنهدت بعمق واردفت قائلة :

ــ اتريد بيضا ؟

ــ نعم بيضتان مسلوقتان .

ــ اتحب ان يكون معهما كمية من السجق !

ــ لا ، مجرد قطعة من الخبز ، وجانب من كعكة التفاح .

وقالت اليس وهي تقدم هذه الاشياء :

ــ لماذا لم يخرجوا بعد ؟ انني اريد الذهاب الى الحمام .

فقال جون :

ـــ يبدو من تحركاتهم في الداخل انهم على وشك الخروج .

وكانت حركة الانزلاء في غرفة النوم مسموعة بوضوح ، فقد سمع الجميع في الخارج ، صوت باب يفتح في الداخل ، ثم صوت سيدة وهي تقول بحدة :

ـــ ما هذا ؟ كان يجب ان تنقر على الباب .

ثم صوت رجل يجيب .

ـــ انني اسف يا سيدتي ، ان المنفذ الاخر للخروج من غرفتي هو النافذة .

ثم صوت رجل اخر يقول بلهجة تنم عن السلطة والنفوذ :

ـــ ولكن هذا لم يكن يمنعك من الطرق على الباب قبل ان تفتحه يا صاحبي آه ، هل اصيبت قدمك بشيء ؟

ـــ نعم .

ولم يلبث الباب الواقع وراء مائدة الخدمة ان انفتح وظهر منه رجل قصير راح يقبل على قاعة الطعام ، وكان مرتديا بذلة كاملة وقميصا بني اللون من النوع الذي يرتديه الاشخاص الكثيرو السفر والتنقل ، والذي يسمى «قميص الالف ميل» لانه يحتمل الاتربة والغبار ، ولهذا السبب نفسه كان يرتدي بذلة من النوع المعروف باسم « الملح والفلفل » . وكان وجهه حاد الملامح ، متألق العينين ، على شفته العليا شارب كالدودة السوداء تبدو ـــعندما يتحدث ـــ كأنها تزحف ! وكان في جملته يبدو فطينا ، لطيفا ، على شيء من الوداعة التي لا تخلو من الثقه بالنفس . وقد قال هذا الرجل وهو يتقدم في غرفة الطعام :

ـــ طاب صباحكم جميعا ، انني لا ادري اين نمتم ؟ واراهن انكم تضيتم الليل جالسين .

فقالت اليس بمرارة :

ـــ وهذا ما حدث فعلا .

واسرع جون يقول بتلطف :

ـــ حسنا ، حسنا ، لسوف نعوض تعبنا الليلة بالنوم مبكرآ في هذا المساء .

ـــ هل اصلحت السيارة ؟ اترى انه من المكن السفر في هذا المطر ؟

ـــ بكل تأكيد .

وعاد الرجل يسير في القاعة وهو يعرج قليلا حتى جلس في اقرب مقعد اليه واسرعت نورما تقدم له قدح ماء وادوات الطعام والمنشفه ، ثم تقول :

ـــ اتريد بيضا ؟

ـــ نعم بيضا مقليا وسجقا ، ورقائق خبز بالزبد . ولا تنسي ان تكثري كمية الزبد عليها .

ثم رفع قدمه قليلا وراح يتأملها في الم وتوجع ، وعند ئذ قال له جون :

ـــ هل اصبت بالتواء فيها ؟

وفي تلك اللحظة ، فتح الباب مرة اخرى ، وخرج من غرفة النوم رجل متوسط الطول ، يضع نظارة على عينيه ، ويرتدي ملابسه بعناية ملحوظة ، وتبدو عليه سمات الوقار والاعتزاز بالنفس . وكان كل شيء فيه ينم على انه من رجال الاعمال . وبدون ان يحيي احدا ، قال :

ـــ ان المسز بريكارد ، زوجتي تريد بيضا مقليا ، ورقائق خبز بالمربى اما ابنتي المس بريكارد فهي لا تريد غير كوب من عصير البرتقال وقدح من القهوة اما انا فأريد طبق كريمة بالمكسرات ، وبيضا مقليا ، ورقائق خبز بالزبد ، وقهوة بوستون ، اي قهوة نصفها لبن . ويمكنكم احضار هذا كله الينا على صفحة كبيرة .

وعندئذ قالت له اليس في غضب وحدة :

ـــ اننا لا نقدم الطعام لاحـــد بهذه الطريقة ، يحسن ان تأتوا وتتناولوا طعامكم هنا ، على احدى الموائد .

فنظر المستر بريكارد اليها ببرود وقال :

ـــ لقد احتجزنا هنا رغما عنا ، وهذا يعني ضياع يوم كامل بلا اي فائدة . واذا كانت السيارة قد تعطلت ، فلست انا المسؤول عن ذلك ، وان اقل ما يجب ان تفعلوه لنا هو ان تاتوا بالطعام الينا في غرفة النوم ، ان زوجتي تشعر بالتعب ، ولم اتعود انا على الجلوس في مقاعد من هذا النوع السوقي ، وكذلك الحال مع المسز بريكارد .

فأحنت المسز اليس راسها كما تفعل البقرة الغاضبة وقالت :

ـــ اسمع ، انني اريد الذهـــاب الى الحمـــام لاغسل وجهي ، ولكنكم تعترضون سبيلي .

فلمس المستر بريكارد نظارته بحركة عصبية ثم قال :

ـــ آه ، فهمت .

ثم تلفت حوله وقد سرى في جسمه احساس بعدم الثقة والاطمئنان وكان المستر بريكارد فعلا من رجال الاعمال ، ورئيس شركة متوسطة الحال ولم يحدث ابدا ان وجد نفسه وحيدا في اي موقف ، فانه يشترك في العمل

مع مجموعة من رجـال الاعمال امثاله ، نفس التفكير ، ونفس النظرة الى الحياة ، وهو يتناول عـادة طعام الغداء مع زملاء مثله في ناد يضم اعضاء مثله ، وهو يقضي سهرات مع اشخاص من طبقته او من مستواه الفكري من الوسط الذي يعمل فيه . وعلى الجمله فهو اينما ذهب لا يكون وحيدا ، او فردا ، وانما هو وحده في مجموعة يتحرك افرادها معا ، ويفكرون معا ويدينون بنفس المذهب السياسي ، وبنفس العقيدة الدينية . ولم يحدث بطبيعة الحال ان تعرضت آراؤه للنقد او التجريح لانه يستمدها من المجموعة التي يعيش فيها ، انه يقرأ الصحف التي يصدرها حزبه ، والكتب التي تختارها لجنة ثقافية تعرف ميوله ، وهو يكره الاجانب والبلاد الاجنبية لانه يجد من العسير عليه أن يعرف مكان من هذه البلاد وسكانها . وهو ايضا لا يفكر في الخروج على مجموعته ، لانه حقا يجب ان يصبح في موضع الرئاسة منها يوما ، ولكن دون ان يخرج عليها . واذا ذهب مسرح استعراضي حيث كؤوس الخمر المترعة والفتيات العاريات تماما على المسرح ، فانه يضحك عاليا ويصفق طويلا ، ولكن لا يجب ان ينسى ان المسرح في هذه الليله يكون ممتلئا بخمسمائة رجل من نوع المستر بريكارد .

وها هو ذا الآن ، بعد ان سمع كلمات المسز اليس ، يتلفت حوله في حيرة وقلق بعد ان وجد نفسه وحيدا ، ليس بجانبه آخر ، وتركـزت نظراته برهة على الرجل القصير ذي البدلة الرمادية ، واخيرا هـز كتفيه وهو يشعر بالكراهية لهؤلاء الناس ، ولاجازته ايضا ، بالرغبـة في العودة الى غرفة النوم واغلاق الباب . ولكن هـذه السيـدة ذات اللسان الحاد تريد ان تغسـل وجهها في الحمـام ، ومعنـى هذا انـه لا حيلة له في الامر ، وان عليه ان يخـرج مـع زوجته وابنته الـى قاعة الطعام ولكن المستر بريكارد في اعماق نفسه وحقيقة امره ليس هكـذا حقا . لقد حدث ان اعطى صوته ذات يوم لمرشح لا يديـن بمذهبـه السياسي ، وهو النائب ايوجين ديبز . ولكـن هذا حدث منذ امد بعيد وحقيقة الامر ان كل واحد في مجموعتـه يراقب الآخر ، ومن ثم فان اي تغيير في تصرف احدهم يعرف فورا ، ويوضع على بساط البحث والمناقشة، فاذا تكرر هذا التصرف المغاير الخارج عن قواعد المجموعة وتقاليدها ، فان صاحب هذا التصرف سيجد نفسه منبوذا لا يقبل احد ان يتعامل معه . ومقابل هذا فان الذي يسير في ركب المجموعة ، من حقه ان يتمتع بحمايتها له . وهذا ما يفعله المستر بريكارد . لقد تخلى عن حريته ، ثم نسى كل

شيء عنها . وهـو حين يتذكـر تصويته في جانـب أيوجين ديبز يدرك انه لم يفعل هذا الا بدافع من طيش الشباب ، لقد صحبه جماعة من انصار ايوجين الى مسكن أحدى الغواني المشهورات ، وهناك سكر معهم وقد اراد ان يثبت لهم انه لا يقل عنهم شبابا وحيوية واقبالا على الحياة ، وبعد ان امضى الليل مع الغانية الحسناء ، اعطى صوته لايوجين .

وانه يبتسم في استهتار كلما طافت به هذه الذكرى من ذكريـات الشباب : ولكنه يبتسم اطلاقا كلما تذكر ابنته ميلدرد وتصرفاتهـا كفتاة عصرية متحررة .

انها تقضي اوقاتها مع اشخاص خطرين في الجامعة : مع طلبـة واساتذة يعتبرون من ذوي الاراء التقدمية الالحادية . واخطر من هذا انها تأبى ان تناقش اباها في الشئون السياسية والمذاهب الاجتماعية ، وكأنما تعرف سلفا ان المناقشة معه لا تجدي ، وانه لن يتزحزح عن آرائه ايا كانت قوة الحجج التي ستسوقها اليه لتأييد آرائها .

ولكن الشيء الوحيد الذي يخفف من شعوره بالقلق على ابنته هو ان الزواج وتبعاته سوف تهدىء من فورة آرائها وعنفها .

وكان المستر بريكارد في طريقه مع الاسرة الى المكسيك عندما تعطلت السيارة . والواقع انه كان ذاهبا رغما عنه ، وانما اكراما لابنته فقط . ذلك انه كان يكره بلاد المكسيك .

وقال أخيرا وهو يتناول نظارته ويمسح زجاجها بمنديله :

ـ حسنا ، سوف اخبر زوجتي وابنتي بالامر ، اننا لم نكن نعرف اننا ازعجناكم الى هذا الحد .

وعاد المستر بريكارد الى غرفة النوم ، حيث اخذ يتحدث بصوت مسموع مع زوجته وابنته شارحا لهما حقيقة الموقف . وفي هذه اللحظة ، نهض الرجل القصير من مقعده وتقدم وهو يعرج بألم شديد الى مائـدة الخدمة ، وتناول اناء السكر ، وعاد به الى مقعده حيث تهالك عليه وهو يتوجـع .

وقالت نورما في عطف شديد :

ـ كان في مقدوري أن احمل هذا الاناء اليك اذا شئت !

فقال لها وهو يحاول ان يبتسم :

ـ لم ارغب في ازعاجك .

ـ لا ، لا ، ابدا .

شيء عنها . وهـو حين يتذكـر تصويته في جانـب ايوجين دييز يدرك انه لم يفعل هذا الا بدافع من طيش الشباب ، لقد صحبه جماعة من انصار ايوجين الى مسكن أحدى الغواني المشهورات ، وهناك سكر معهم وقد اراد ان يثبت لهم انه لا يقل عنهم شبابا وحيوية واقبالا على الحياة ، وبعد ان امضى الليل مع الغانية الحسناء ، اعطى صوته لايوجين .

وانه يبتسم في استهتار كلما طافت به هذه الذكرى من ذكريـات الشباب : ولكنه يبتسم اطلاقا كلما تذكر ابنته ميلدرد وتصرفاتهـا كفتاة عصرية متحررة .

انها تقضي اوقاتها مع اشخاص خطرين في الجامعة : مع طلبـة واساتذة يعتبرون من ذوي الاراء التقدمية الالحادية . واخطر من هذا انها تأبى ان تناقش اباها في الشئون السياسية والمذاهب الاجتماعية ، وكأنما تعرف سلفا ان المناقشة معه لا تجدي ، وانه لن يتزحزح عن آرائه ايا كانت قوة الحجج التي ستسوقها اليه لتأييد آرائها .

ولكن الشيء الوحيد الذي يخفف من شعوره بالقلق على ابنته هو ان الزواج وتبعاته سوف تهدىء من فورة آرائها وعنفها .

وكان المستر بريكارد في طريقه مع الاسرة الى المكسيك عندما تعطلت السيارة . والواقع انه كان ذاهبا رغما عنه ، وانما اكراما لابنته فقط . ذلك انه كان يكره بلاد المكسيك .

وقال أخيرا وهو يتناول نظارته ويمسح زجاجها بمنديله :

ــ حسنا ، سوف اخبر زوجتي وابنتي بالامر ، اننا لم نكن نعرف اننا ازعجناكم الى هذا الحد .

وعاد المستر بريكارد الى غرفة النوم ، حيث اخذ يتحدث بصوت مسموع مع زوجته وابنته شارحا لهما حقيقة الموقف . وفي هذه اللحظة ، نهض الرجل القصير من مقعده وتقدم وهو يعرج بألم شديد الى مائـدة الخدمة ، وتناول اناء السكر ، وعاد به الى مقعده حيث تهالك عليه وهو يتوجـع .

وقالت نورما في عطف شديد :

ــ كان في مقدوري أن احمل هذا الاناء اليك اذا شئت !

فقال لها وهو يحاول ان يبتسم :

ــ لم ارغب في ازعاجك .

ــ لا ، لا ، ابدا .

واعاد جون قدح القهوة الفارغ الى مكانه .
وقال بمبلز :
ــ اريد قطعة اخرى من كعكة جوز الهند هذه .
وقطعت اليس ، وهي شاردة الذهن ، شريحة كبيرة من الكعكة وقدمتها اليه وسجلت ثمنها في دفتر حسابه .
وقال جون للرجل القصير وهو ينظر الى قدمه اليسرى في الحذاء الجلدي الفاخر :
ــ يبدو ان اصابة قدمك بالالتواء مؤلمة جدا .
ــ لقد سحق اصابع قدمي رجل بدين جدا منذ يومين . اتحب ان ترى الاصابة ؟ ها هي ذي .
وفي تلك اللحظة عاد المستر بريكارد وجلس الى المائدة الثالثة . بينما كان الرجل القصير يخلع حذاء قدمه اليسرى ، ثم نزع جوربه برفق ووضعه بجانبه ، فظهرت قدمه مربوطة بضمادة عليها آثار دماء .
وقالت اليس بسرعة وجزع :
ــ اوه ، لا داعي لان ترينا الجرح . ان منظر الدم يخيفني جدا .
ــ يجب ان اغير الضمادة على كل حال .
وانكشفت قدمه اخيرا ، فاذا الاصابة رهيبة دامية ، واذا الاصبع الكبيرة ، واصبعان بجانبها منسحقة تماما بحيث تمزق اللحم حولهما .
وبعد ان دنا بمبلز من الرجل ، وتسللت نورما مقتربة منه ــ هتف جون قائلا في قلق شديد :
ــ ارى ان اصابتك خطيرة ؟
ــ نعم ، انها خطيرة فعلا كما ترى .
ــ يجب ان تعرضها على طبيب في اول فرصة .
فضحك الرجل القصير بابتهاج ، وقال :
ــ هذا كل ما كنت اريد ان اسمعه .
ثم وضع طرف اصبع يده تحت شيء ما في قدمه ، واذا بقالب من البلاستيك ينفصل عن القدم المصابة ، او التي كانت تبدو مصابة ، واذا القدم في الواقع سليمة تماما ، واذا هو يمسك بيده قالبا على هيئة نصف قدم من البلاستيك يمثل اصابة خطيرة في الاصابع الثلاثة . اما الدماء القانية فكانت نوعا من الاصباغ التي تنساب بطريقة آلية في الغالب .
وضحك الرجل القصير عاليا ثم قال :

ـــ ما رأيكم في هذه الخدعة ، اليست متقنة الصنع ؟
ثم اردف قائلا بعد ان اقترب المستر بريكارد منه في اندهاش :
ـــ انها من انتاج شركة العاب التسلية ، وتسمى « معجزة القـــدم المصابـــة » .
وتناول من جيبه علبة مفرطحة وضع فيها « القدم » وقدمها الى جون قائـــــلا :
ـــ ارجو ان تقبل هذه هدية خالصة مني يا مستر شيكو ، لانك كنت معنا لطيفا واسع الصدر ، انني اقدمها لك مع تحيـــات أرنست هورتون مندوب شركة العاب التسلية والعجائب . ولهذه القدم ثلاثة احجام . الاول بأصبع واحدة مصابة ، والثاني بأصبعين ، والثالث ـــ كهذا الحجم ـــ بثلاثة اصابع ، وفي داخلها قطارة صغيرة ممتلئة بلون سائل احمر يتقاطر على الضمادة ببطء . وطريقة استعمالها موجودة داخل العلبة ، وما عليك الا ان تبللها قليلا بالماء الدافىء عند استعمالها اول مرة ، وعندئذ تلتصق بالقدم الطبيعية وتبدو تماما كأنها هي .
وظل المستر بريكارد متتبعا حديث المستر ارنست هورتون وهـــو يتصور نفسه في ذات الوقت بين اصحابه وقد اخذ يخلع الحذاء ويتظاهـــر بالالم من اصابة قدمه . بل لقد راح يتمادى في الخيال فيتصور نفسه وهو مع اعضاء مجلس الشركة ، بعد عودته من المكسيك ، ثم وهو يحدثهم عن « قطاع الطرق » الذين اصابوا قدمه اثناء فرارهم من بطشه !
وفجأة قال لمندوب الشركة :
ـــ كم ثمن القالب من هذه ؟
فقال آرنست هورتون :
ـــ دولارا ونصف ، ولكنني اعتقد ان السعر سيرتفع بسرعة بعد ايام قليلة ، لقد كان الثمن منذ اسبوع دولارا واحدا .
فتمتم بريكارد وقد اتسعت عيناه اعجابا ودهشة :
ـــ احقا ! انه ارتفاع مشرف .
ـــ في استطاعتي الان ان اطلعك على دفتر الاسعار والطلبات التي تنهال علي من انحاء مختلفة .
فأومأ بريكارد برأسه وقال :
ـــ أريد ان اشتري واحدا اليوم قبل ان يرتفع السعر غدا .
ـــ سأبيعك ما تريد بعد أن اتناول طعام الافطار . هل اعددت رقائق

الخبز بالزبد يا آنسة ؟
فقالت نورما وهي تعود الى مكانها وراء مائدة الخدمة :
ـ انها في الطريق اليك .
وعاد آرنست هورتون الى بريكارد ، وقال له :
ـ ان الشاب الذي اخترع هذه « القدم » ظفر بمكافاة ضخمة من الشركة .
ـ طبعا ، طبعا ، وهو جدير بها . وانت ؟ لا شك انك تربح كثيرا من بيعها بالجملة .
ـ نعم . وعدا هذا فان لدي اثنين او ثلاثا من ادوات التسلية الحديثة في حقيبة العينات . وهي ليست للبيع الآن ، ولكن يمكن ان اعرضها عليكم واثير بها الكثير من ضحككم .
وهنا قال المستر بريكارد :
ـ هل يمكن ان تبيعني اليوم نصف دستة من هذه « الاقدام » ؟
ـ اتريدها كلها من حجم « الاصابع الثلاثة » ؟
ـ لا ، لا ، اثنان من كل حجم .
وكان المطر لا يزال منهمرا بغزارة ، وكانت اليس جالسة بالقرب من النافذة ، تنظر اليه بذهن شارد ، وامامها قدح قهوة ، وفي حجرها صحن صغير به قطعة من كعكة جوز الهند .
وقال جون :
ـ سوف أعود الى السيارة لادير محركها بعض الوقت ولاطمئن على سلامة التروس مرة اخرى .

الفصل الرابع

صيحة الجسد

ما ان خرج آل بريكارد من غرفة النوم حتى قالت نورما بسرعة :

— اريد ان اصفف شعري واغسل وجهي .

ثم اسرعت نحو الباب المؤدي الى غرفات النوم ، ولكن اليس لحقت بها وقالت لها ببرود :

— انتظري حتى اخرج انا من الحمام .

ولم تجب نورما ، وانما سارت في طريقها عبر غرفة نوم المستر والمسز شيكو ، ودخلت غرفة نومها هي ، واغلقت الباب وراءها بالرتاج. ثم نظرت الى سريرها المفرد الذي غادره ارنست هورتون دون ان يرتبه بعد ان نام عليه ، وكانت حقيبته الخاصة بالعينات موضوعة بالقرب منه .

وكانت الغرفة ضيقة ، ليس بها غير نافذة واحدة تؤدي الى الممر الواقع وراء المطعم ، وقد اسرعت نورما فاغلقت المصراع الخشبي لهذه النافذة ، ثم مضت الى مرآة منضدة الزينة وراحت تتأمل وجهها برهة ، ثمتناولت من صدرها مفتاحا صغيرا كان مشبوكا في داخل الثوب بدبوس ، وفتحت قفل حقيبة ملابسها بعد ان جذبتها من تحت السرير ، وما ان رفعت

الغطاء حتى برزت صورة كلارك جيبل في اطار فضي ، فرفعتها ، ونظرت الى التوقيع الذي في ذيل الصورة يقول « مع اجمل الاماني : كلارك جيبل » وكانت الصورة والاطار والتوقيع تباع في متاجر معينة بثلاثة دولارات .

وبعد ان اطمأنت الى حليها الخاصة ، اعادتها الى مكانها في الحقيبة ، ثم اغلقتها ، واعادت المفتاح الى مكانه من ثوبها ، ثم مضت الى المرآة مرة اخرى ، واخذت تبتسم لنفسها وتكشف عن اسنانها المنظومة البيضاء ، ثم داعبت خصلات شعرها وتركتها تتهدل على جبينها ، وبعدئذ راحت على الضوء الرمادي المنساب من زجاج النافذة الى الغرفة ، تتأمل عينيها ، وتجذب اطرافهما ، ثم تعود وتبتسم ثم وقفت على طرفي قدميها ، تلوح بيدها لجموع بشرية وهمية تحييها ، ثم تمشط خصلات شعرها وترسم بقلم الحواجب حاجبيها ، ثم تنضد متمهلة ثوبها وتقف أمام المرآة شبه عارية تتأمل كل لمحة من ملامح جسمها الشاب الملفوف ، ثم تمضي في حركات رياضية لتجميل الساقين لانها كانت قد قرأت عن فوائدها في مجلة سينمائية بقلم نجمة مشهورة بجمال الساقين ، ولو انها عرفت الحقيقة ، لعلمت ان النجمة المشهورة لها ساقان جميلتان حقا ، ولكنها لم تمارس تلك الرياضة ابدا ، بل ولم تكتب ذلك المقال !

وفجأة سمعت طرقا خفيفا على الباب ، ثم رأت المقبض يتحرك مع شيء من الضغط ، كأنما يريد شخص ما ان يدخل ، فأسرعت وارتدت ثوبها وحاولت أن تزيل الكحل عن حاجبيها ، ولكنها استطاعت فقط ان تلطخ به جبينها ، واخيرا فتحت الباب لتجد امامها ارنست هورتون ينظر اليها وشاربه الدودي يبدو — وهو يبتسم — كأنما يزحف على شفته العليا .

قال معتذرا :

— كنت اظن الغرفة خالية . لقد جئت لآخذ حقيبة العينات .وأردف قائلا حين رأى نورما لا تفسح له الطريق ليدخل :

— لقد كنتم كرماء معنا ، وانا لا اريد ان ازيد مضايقتكم .

وتراخت اعصاب نورما قليلا ، وتراجعت الى الوراء لتفسح له الطريق ، ودخل هورتون الغرفة ومضى الى السرير وقال وهو يتناول الاغطية :

— كان ينبغي ان ارتب السرير قبل ان اغادر الغرفة ، انني آسف .

— حسنا ، دعه كما هو ، وسأقوم انا بترتيبه .

— أوه ، شكرا ، انك فتاة مهذبة ، بل انك لم تنتظري حتى اعطيك البقشيش الذي وعدتك بـــه . آه ، انني كما ترين احسن ترتيب الاسرة .

فابتسمت نورما وقالت :

— نعم ، نعم ، هذا واضح .

فقال وهو ينحني على حقيبة العينات الضخمة :

— الان وقد فرغنا من السرير ، فهل تسمحين لي بفتح هذه الحقيبة، انني اريد منها شيئا .

— افعل ما يحلو لك ، انها حقيبتك على كل حال .

ورفع الحقيبة ووضعها على السرير ، ثم فك احزمتها الجلدية ، وفتح قفلها ، ورفع غطاءها ليكشف عن اشياء عجيبة مدهشة ، فقد رأت نورما ألوانا وفنونا من العاب التسلية والدعابة : مشابك سحرية ،ومناديل تتغير الوانها ، وسجائر تنفجر ، ومفرقعات مغناطيسية ، وصفافير ذات أصوات مضحكة ، وقبعات من الورق الملون ، وازرار عجيبة الشكل . وكان هورتون يتناول في تلك اللحظة ستة قوالب من « القدم المصابة » ويضعها في اكياسها الشفافة ، واقتربت نورما منه بدافع من الفضول ، وعندئذ لم تلبث نظراتها أن وقعت على مجموعة من صور النجوم والكواكب .

وفتحت الفتاة عينيها في دهشة بالغة وهي ترى هذا النوع الجديد من الصور ، لقد رأتها صورا مصنوعة من الورق المقوى بطريقة تجعل الوجه يبدو طبيعيا مستديرا فيه عمق ، وكأنما للصورة الابعاد الثلاثة المعروفة : الطول والعرض ، والعمق .

وكانت صورة معبودها كلارك جيبل هي الاولى من بين هذه الصور العجيبة ، وقد بلغ من اتقان صنعها وطرافتها انها ظنت ، برهة ، ان كلارك جيبل « بدمه ولحمه » يطل عليها باسما من داخل الحقيبة .

وتنهدت الفتاة في عمـــق ، وبـــدأت انفاسها تلهث وهي تنظر ، كالمسحورة ، الى هذه الصورة التي لم تر لها مثيلا من قبل ، ثم اذا بها تتناولها وتحملق فيها بنظرات الانسان الذي لا يشعر بشيء مما يدور حوله.

وراقبها ارنست هورتون برهة ، حتى اذا تبين اهتمامها بالصورة ، قـــال :

— أليست هذه الصورة رائعة ؟ انها اختراع حديث ، الا تريـــن كيف تشبه التمثال !

فأومأت نورما براسها كأنما يعجز لسانها عن النطق . وعاد ارنست يقـــول :

ــ ان هذا النوع من الصور سوف يكتسح كل الانواع الاخرى في خلال عام واحد ، انه نوع لا يتأثر بالرطوبة أو الماء او الاحماض ، ولا يغير اللون ، وانما يعيش مدى الحياة كما هو . والصورة كما ترين مصبوبة ومصنوعة مع الاطار حتى لا تنفصل عنه ابدا .

ولم تتحول نظرات نورما عن الصورة ، ولما حاول ارنست ان يأخذها منها ، تشبثت بها في استماتة ثم قالت بصوت خافت مبحوح :

ــ كم ثمنهـــا ؟

ــ انهـــا ليست للبيـــع ، أنهـــا مجرد عينة اعرضهـــا على اصحاب المتاجـــر .

فعادت تقول وهي تشدد قبضتها على الصورة وتعض على نواجدها في حالة من التوتر العصبي الشديد :

ــ كم ثمنهـــا ؟

فهز ارنست كتفيه وقال :

ــ حسنا ، انها تساوي بالسعر القطاعي دولارين ، ولكنني استطيع ان اقدمها اليك بدلا من البقشيش ، فما رأيك ؟

فتألقت عيناها بالفرحة الطاغية ، ثم قالت وهي تضع الصورة على صفحة خدهـــا .

ــ شكرا ، شكرا جزيلا يا سيدي .

ــ انني ارجو ان تنال هذه الصورة الجديدة مثل هذا الاعجاب مـــن اصحابها المثلين ، فانني في الطريق الى لوس انجلوس لاقضي اسبوعين .

فقالت نورما وهي تخفي الصورة تحـــت اكوام ملابسها الموضوعة في الحديقـــة :

ــ ومنها ستذهب الى هوليوود . اليس كذلك ؟

ــ أوه ، طبعا ، طبعا ، فان لي فيها اصدقاء كثيرين ، كما انهـــا المدينة التي تروج فيها مثل هذه المستحدثات . واعتقد انـــي سألقـــى فيها ما أرجو من نجاح ، لا سيما ان لي صديقا كان زميلا لي في الحرب ، وهو يشتغل الان في احد الاستديوهات .

ــ في اي استديو يعمل صديقك هذا ؟

فقال ارنست وهو يعيد العينات الى الحقيبة ليغلقها :

— في احد أستديوهات مترو جولدوين ماير .
ولم يسمع ارنست شهقة نورما وهي تقول بلهفة :
— وهل زرت صديقك في هذا الاستديو كثيرا ؟!
— نعم ، ان ويلي ، اعني صديقي ، قد اعطاني تصريحا استطيع ان ادخل به الى الاستديو كلما شئت . وان صاحبي ويلي هذا الشاب محظوظ مع النساء والفتيات .
وبدا الامتعاض على وجه نورما وهي تسمع الجزء الاخير من الحديث، ولكنها لم تلبث ان ابتسمت وقالت :
— هل يمكن ان تؤدي لي خدمة ؟
— طبعا ، طبعا ، ماذا تريدين ؟
— اذا اعطيتك خطابا للمستر جيبل ، وحدث ان التقيت به في استديو شركة مترو ، فهل يمكن ان تسلمه اليه ؟
— ولكن من هو المستر جيبل ؟
فقالت في حزم :
— المستر كلارك جيبل طبعا !
أوه ، نعم ، اتعرفينه ؟
فأجابت نورما في زهو :
— طبعا ، انني ، ابنة خالته .
— آه ، فهمت . لسوف اسلمه الخطاب حتما اذا التقيت به ، ولكنني قد لا التقي به لسبب ما ، فهل يحسن ان ترسله اليه بالبريد ؟
فضاقت حدقتا عيني نورما وهي تقول :
— انه عادة لا يتسلم كل الرسائل البريدية التي ترسل اليه ، ان سكرتيرته الخاصة تتسلمها وتمزق الجزء الاكبر منها .
— عجبا ! لماذا ؟
— بدافع الغيرة .
— حتى رسائل اقاربه ؟
— نعم .
— هل قال لك هذا بنفسه ؟
ولم يسع نورما الا ان تتمادى في أكذوبتها فقالت :
— آه ، طبعا ، طبعا . لقد ذهبت الى هوليوود وعرضت علي ادوار هامة ، ولكن المستر جيبل نصحني قائلا ان الافضل اولا ان اخوض

الكثير من تجارب الحياة قبل ان احترف التمثيل ، لان مواهب التمثيل لا تصقلها الا التجارب والخبرات الكثيرة . وانا الان في فترة التجارب ، واني اجد الكثير من هذه التجارب في العمل بالمطاعم . نعم ، ان ابن خالتي على حق ، وانه لرجل عظيم ، نبيل ، كبير القلب انني اعتبر المستر جيبل الضوء الذي تعيش فيه هوليوود كلها .

واخفض ارنست هورتون عينيه عن وجه نورما وقد ادرك ان الفتاة توشك ان تفقد عقلها حبا لذلك النجم السينمائي ، وان ارنست ليفكر في نوع هذا الحب العجيب الذي يملأ حياة فتاة كهذه بالنور والامل !

وقال اخيرا :

— لسوف احمل اليه خطابك واقول له انه من ابنة خالتك فالتمعت في عيني نورما نظرة قلق ثم قالت :

— لا ، انني اريد ان اجعلها مفاجأة له ، قل له فقط انه خطاب من صديقة ، ولا تقل له شيئا اخر ابداً .

— حسنا ، سوف افعل ما تريدين ، ولكن ، متى ستذهبين للعمل هنـــاك ؟

— لقد طلب مني المستر جيبل ان انتظر سنة اخـــرى لاني لا زلت صغيرة السن . ولكنني بدأت أضيق بحياتي هذه ، واتوق الى الحيـــاة هناك ، في هوليوود ، في بيت من هذه البيوت الكبيرة الشبيهة بالقصور ، ذات الستائر المخملية ، والحدائق ، واحواض السباحة ، والمقاعـــــد الوثيرة ، والواقع اني اشتقت جدا لصديقاتي العزيزات : بيتي دافيز ، وانجريد برجمان ، وجوان فونتين وغيرهن . آه ، يا لهن من صديقـــات عزيزات ، وكم من ليال امضيناها معا ، وكم من أفلام قمنا فيها بالادوار الرئيسية معا ، وكم ضحكنا من هواة جمع التوقيعات والعبارات الطريفة .

وهنا قاطعها ارنست هورتون قائلا في دهشة مصطنعة :

— اوه ، هل افهم من هذا انك اشتغلت بالتمثيل فترة ما ؟

— نعم ، طبعا ، ولكنني كنت احمل اسما اخر غير اسمي .

— وما هو ذلك الاسم ؟

— لا استطيع ان اخبرك ، وانك الان الشخص الوحيد الذي يعرف كل هذه الحقائق عني هنا ، فهل ستخبر احدا بما قلت لك ؟

— لا ، لا ، مطلقا !

— هل ستحفظ سري ؟

ــ بكل تأكيد ، فقط سلميني الخطاب وانا اسلمه بدوري له .

وهنا سمع الاثنان صوت اليس وهي تقول بحدة بعد ان وقفت بالباب :

ــ تسلم ماذا ؟ لمن ؟!

ثم طافت بنظراتها المفعمة بالشك والريبة على ملابس نورما ، ثم تركزت على وجهها المضطرم احمرارا ، واردفت قائلة بلهجة لها دلالتها :

ــ ماذا تفعلان هنا في غرفة النوم ؟

وانعقد لسان نورما من فرط الاضطراب والارتباك ، وقال ارنست هورتون لاليس التي وقفت واضعة يديها على وسطها :

ــ كنت آخذ بعض الاشياء من حقيبة العينات ، وقد طلبت مني ان احمل لها خطابا الى صديقة في لوس انجلوس .

ــ الها صديقة في لوس انجلوس ؟

ــ نعم ، وانا اعرف صديقتها هذه .

وهنا كان زمام الغضب قد أفلت تماما من اليس فصاحت قائلة :

ــ اسمع يا هذا ، انني لا اريد منك ومن امثالك ان تعبثوا بالعاملات هنا .

ــ انني لم المسها ، نعم ، لم المسها !

ــ لم تلمسها ؟ اذن ماذا تفعل معها هنا في غرفة النوم ؟ انظر الى وجهها ؟ انظر كيف يبدو الاضطراب عليها ؟

وارتعد صوت اليس بالانفعال ، وتهدلت خصلات شعرها على وجهها ، وبدت امارات الانهيار العصبي تتضح على كل تصرفاتها وهي تصيح قائلة :

ــ انني لا أقبل هذا الوضع هنا ، لا اقبل ان تقوم اية علاقة مريبة بين زبائني وعاملاتي ، ان هذا المكان نظيف ، وسيبقى نظيفا دائما ، أتفهم ؟ الا يكفي اننا تنازلنا لكم عن اسرتنا طيلة الليل ؟

فصاح ارنست قائلافي احتجاج :

ــ قلت لك انه لم يحدث بيننا شيء ، الا تفهمين ؟

ولكن استنكار ارنست كان يرن في الاذن ، من فرط اضطرابه ، وهو اقرب الى الاعتراف . اما نورما فقد وقفت مفتوحة الفم ، تصدر عنها اصوات انين وعويل خافتة .

وتقدمت اليس نحو نورما في ثورة رهيبة وصاحت وهي تجمع قبضة

يدها اليمنى بعنف :

ـ اخرجي .. اخرجي من هنا ، اخرجي ايتها الفاجرة من بيتي ، اخرجي الى العراء ، والى الامطار .

وظلت نورما تتراجع في فزع ، ثم اذا اليس ترسل صيحة رهيبة ، واذا صوت جون شيكو يهتف بها وهو واقف بالباب :

ـ اليس .. كفى !

وتوقفت اليس فجأة ، وتخاذلت ذراعها ، وتهدل فكاها ، وتحول غضبها الى فزع ، وهي تحملق في وجهه ، ثم اذا بها تتراجع بعيدا عنه وتحاول أن تمرق من الباب الى غرفة نومها وهي تهمس مرتعدة :

ـ ارجوك ، لا تضربني ، لا تضربني .

ولكن جون مد يده برفق وتناول ذراع اليس ، ثم قادها الى غرفة نومها واغلق الباب الفاصل بين الغرفتين .

وكتم كل من ارنست هورتون ونورما انفاسهما ، وهما يتوقعان ان يسمعا صيحات اليس عندما تنهال عليها لكمات زوجها .

ولكن جون كان في تلك اللحظة يساعد اليس على النوم في سريرهما .

الفصل الخامس

همسات العاطفة

جلست برنيس بريكارد وابنتها ميلدرد وزوجها المستر بريكارد الى المائدة الصغيرة الواقعة على يمين باب الدخول الى قاعة الطعام . وكانت برنيس سيدة في منتصف العمر جميلة الوجه ، بنفسجية العينين ، تضع عليهما نظارة طبية دائما .

وكانت انيقة في ملابسها ، موفورة الجاذبية ، عذبة السمـــــات ، تنم امارات وجهها عن الطيبة المتناهية ، وعن الميل الطبيعي الــى اسداء الخير للناس .

وكانت حياتها الزوجية بالنسبة اليها لطيفة هانئة ، فهي تحب زوجها، وتعتقد انها تعرف مواطن ضعفه ، ونزواته ورغباته .

وكان اصدقاء برنيس وصديقاتها يعتبرونها من الطف السيدات ، بل ملاكا في النقاء والطهر وحب الخير للجميع ، اما هي فكانت تقول انها سعيدة الحظ في هذا الجانب من حياتها الخاص بالاصدقاء والصديقـــات ، لان القدر انعم عليها بأخلص واوفى واحب الاصدقاء والصديقات في العالم كلـــــه .

وكان زوجها يحبها حبا هادئا .. يحب وسامتهـا ، واشراقة وجهها ، ونظافتها الدائمة ، وبراعتها في ادارة شئونه المنزلية ، وطيبة قلبها التي تجعلها لا تشك في امره عندما يزعم لها انه امضى ليلته في مناقشات طويلة مع اعضاء مجلس الادارة ، بينما يكون في الواقع قد امضى ليلة حمراء !

اما ميلدرد فكانت فتاة جميلة ، طويلة القامة ، اطول من ابيها ببوصتين ، واطول من امها بخمس بوصات ، وقد ورثت عن الام قصر النظر ولون العينين ، ومن ثم كانت تستعمل نظارة طبية ايضا كلما ارادت ان ترى شيئا ما بوضوح . وكان لها قوام رياضي انيق ، وساقان ملفوفتان قويتان ، وصدر بارز ، ولكنها لم ترث عن امها البرود الجنسي ، وانما كانت على العكس ، حارة العواطف ، مشبوبة الاحساس . وقد مارست في حياتها الحب الجنسي مرتين عابرتين ، واصبحت تهفو الى حب دائم من هذا النوع .

وكانت ميلدرد في هذا الصباح ترتدي « بلوزة » حريرية ، و «جونلة» مزخرفة بخطوط رباعية الشكل ، وحذاء خفيفا بلا كعب . وكانت هي ووالدها جالسين الى المائدة الصغيرة بغرفة الطعام بالمطعم ، ومعطف مسز بريكارد الفراء الانيق معلق بعناية على مشجب بالقرب منها . وكان المستر بريكارد هو الذي اشرف بنفسه على وضعه في هذا المكان القريب ، لانه كان يشعر بالفخر والزهو كلما رآه امامه سواء كان معلقا على مشجب او على زوجته نفسها . وكان زهوه يتضاعف حين يرى نظرات الاعجاب ، او الحسد ، تتألق في عيون النساء ، وهن يرين هذا المعطف الانيق المصنوع من فراء الثعالب السوداء ، وهو نوع من الفراء نادر من جهة ، ومرتفع الثمن جدا من جهة اخرى .

وكان الثلاثة قد سمعوا ، في جلستهم هذه ، صيحة اليس العصبية الرهيبة التي اطلقتها في غرفة نوم نورما . وقد صدمهم ما نمت عليه تلك الصيحة من حيوانية وحقد وغضب ، وجعلتهم يقتربون من بعضهم البعض في حيرة وارتباك . وكانت ميلدرد قد اشعلت سيجارة وهي تتجنب نظرات امها اللائمة ، والواقع انها لم تكن تجرؤ على التدخين امام امها الا في الشهور الستة الاخيرة ، اي بعد ان بلغت من العمر الواحدة والعشرين ، اما امام ابيها ، فقد كانت تدخن وهي في السابعة عشرة !

وكان المطر عندئذ قد توقف عن الانهمار ، ولم يعد يرى في الخارج

الا القطرات المتساقطة من فوق السقف المنحدر لبناء الاستراحة ، او من اغصان الشجر . اما الارض فكانت موحلة مشبعة بالماء ، واعواد القمح الممتلئة بعصارة الربيع قد خارت وتمددت على الارض في امواج ممتدة الى مدى النظر . وكان ماء المطر قد راح يتجمع وينطلق في جـداول صغيرة سريعة ويملأ كل منطقة منخفضة في الحقول ، ويرتفع في البرك الواقعـة على جانبي الطريق العام ، بل ويرتفع منها ويزحف على وجه الطريـق نفسـه .

ورأت صفحة السماء تصفو من الغيوم التي تمزقت وتباعدت كتلهـا تاركة رقعا واسعة من الصفحة الزرقاء المضيئة ، بعضها صاف تماما ، وبعضها لا يزال محجوبا بغلائل من السحاب الرقيق . اما الهواء فقد سكن على الارض تماما وشاعت فيه رائحة العشب المبلل والجذور العارية .

وفي تلك اللحظة كان بمبلز واقفا وراء مائدة الخدمة يحاول ان يحل محل المسز شيكو ونورما في خدمة الزبائن . ولم يحدث ابدا في حياته ان خطر بباله انه سيقف من تلقاء نفسه هذا الموقف الكريم . لقـد كان يكره كعادته دائما مخدوميه ويتمنى اليوم الذي يجمع فيه من المال ما يكفي للسفر الى هوليود والاقامة بضعة اسابيع ريثما يجد فيها عملا . ولكن ما حدث في ذلك الصباح كان لا يزال يرن في اذنيه وهو يقول له : « كيت » نظف يديك وانظر هل اعدت اليس القهوة لنا انها اعذب جملة سمعها في حياته كلها وهو من ثم يريد أن يعرب عن اعترافه بجميل جون ، وقد قدم منذ لحظات عصير البرتقال والقهوة لاسرة بريكارد ، وها هو ذا يشرف على تجمير كسرات الخبز وقلي البيض في وقت واحد .

وكان جون قد قال له قبل ان ينصرف الى غرفات النوم :

— لتأكل معنا بيضا مقليا ، فان طريقة صنعه سهلة ، وانا احبه جافا بعض الشيء .

واجاب بمبلز عليه قائلا :

— بكل تأكيد يا ريس .

ثم وضع الاناء على النار ، ثم كسر البيض في الزبد وتركه حتى بدأت رائحة احتراقه تتسلل الى القاعة .

والواقع انه في تلك اللحظات كـان مشغولا باختلاس النظرات الى ساقي ميلدرد حتى الى ما فوق ركبتيها بقليل ، وكان الثوب القصير في الجهة البعيدة عن نظراته قد اشتبك في جانب المقعد وترك جانبا كبيرا من فخذها

عاريا دون ان تشعر ، ولهذا قرر بمبلز ان يقوم بحركـــة التفات الى ذلك الجانب العاري ليشبع عينيه دون ان يبدو في نظر الجميع وقحا . ورأى ان خير ما يمكن ان يفعله هو ان يضع على كتفه فوطة ، وان يلتفت الى ذلـــك المكان ، ثم يجعل الفوطة تسقط على الارض ، فينحني لالتقاطها ، وهكذا يستطيع ان يستمتع بنظرة مختلسة ضخمة !

ولكن رائحة احتراق البيض والخبز كانت قد ملأت جو قاعة الطعام ، وجعلت ميلدرد تنظر الى بمبلز لترى ماذا دهاه ، وكانت النظرة الاولى كافية لان تعرف انالفتى لا يكاد يستطيع أن ينتزع عينيه عن ساقيها ، فقـــــد ادركت الامر ، وخلصت جانب الروب ، وغطت بطرفه ركبتيها ، وهكـــذا فشلت حركة الالتفات التي اراد بمبلز ان يقوم بها .

واقبل جون بهدوء من غرفات النوم ، وبعد ان تشمم الجو برهـــة ، قال لبمبلـــز :

ــ اوه ، يا الله ، ماذا تفعل يا كيت ؟

فقال بمبلز بقلق :

ــ احاول ان اساعدكم .

فابتسم جون وقـــال :

ــ اوه ، شكرا ولكني ارى انك تستطيع مساعدتنا في اي شيء الا قلي البيضـــ .

ثم مضى الى اناء البيض المحترق ، ورفعه عن النار ، ومضـــى به الى الحوض وفتح عليه صنبور الماء . واخيرا قال :

ــ اذهب يا كيت وحاول ان تدير محرك السيارة ، ولكـــن حذار ان تجعلها تشرق بالنزين اذا لم يدر المحرك من الوهلة الاولى . وعندما يدور ، دعه على حالة دوران هادىء بضع دقائق ، ثم اسرع حركة الدوران قليلا قليلا حتى يسخن الموتور .

ــ هل انظر في مستودع الشحم والزيت بها لارى هل هو ممتلىء .

ــ نعم ، نعم ، انك تعرف عادة ما ينبغي عمله عند القيام بالرحلة في هذه الساعـــة .

ونسي بمبلز مسألة ساقي ميلدرد ، وهو يشعر بالابتهاج لهذا الثناء الذي يسبغه عليه جون . اما هذا فقد اردف قائلا على سبيل الدعابة :

ــ لا اعتقد ان احدا سيسرق هذه السيارة ، ولكن يحسن ان تحرص على مراقبتها على كل حال .

وضحك بمبلز عاليا لدعابة رئيسه ، وبعد ان مضى الى الخــــارج مختالا ، قال جون للموجودين في قاعة الطعام :

ــ ان زوجتي تشعر ببعض التعب . واني مستعد ان اقدم اليكم اية خدمة ايها السادة ، فماذا تريدون ، مزيدا من القهوة ؟

فقال المستـــر بريكـــارد :

ــ نعم ، وكان ذلك الفتى يحاول ان يقلي لنا بعض البيض فاحتـــرق منه . ان زوجتي تحب البيض المقلي غير الجاف .

فقال المستر بريكارد مستنكـــرا :

ــ والمهم ان يكون البيض طازجا

ــ انه طازج تماما يا سيدتي ، لقد اخرجته الآن من الثلاجة .

فقال المستر بريكارد مستنكرا :

ــ انني لا احب البيض المختزن في الثلاجات .

فقـــال جـــون :

ــ هذا ما لدينا فقط ، اني آسف ، لا استطيع ان اخدعك .

وهنا قالت المسز بريكـــارد :

ــ اذن يكفيني في هذه الحالة قطعة من فطيرة الشليك .

وقال المستر بريكـــارد :

ــ وانـــا ايضـــا .

ونظر جون باعجاب صريح الى ساقي ميلدرد ، ورفعت هذه عينيهـــا اليه ، وراحت نظراتهما تلتقي ببطء،ولم تلبث ميلدرد ان اضطرم وجهها خجلا وهي ترى امارات الاعجاب الشديد تطل من نظراته القوية النفاذة ، وفجأة احست برعدة تسري في جسمها كأنما لمست سلكـــا كهربائيـــا ، ثم اشاحت بوجهها في ارتباك وقالت :

ــ اوه ، انني اريد مزيدا من القهوة ، و .. وقطعة من فطير الشليك ايضـــــا .

وهنا ارتفع في الخارج زفيف محرك السيارة ، فانصت جون الى رتابة حركته وانتظام نغمته ثم قال راضيا :

ــ عظيـــم جـــدا .

وخرج ارنست هورتون في هدوء يكاد يقرب من الخلسة ، من غرفات النوم ، واغلق الباب وراءه برفق ، وتقدم الى غرفة الطعام حيث وضع على مائدة المستر بريكارد اكياس القوالب الستة وهو يقول :

ــ هذه هي ستة قوالب .
فأخرج المستر بريكارد حافظة نقوده وتناول منها ورقة من فئة العشرين دولارا وقـــال :
ــ الديك باقـــي هـــذه ؟
ــ لا
فقال المستر بريكارد لجـــون :
ــ الديك فكة هذه الورقة يا مستر شيكو ؟
فحرك جون زرا في آلة تسجيل النقد ثم نظر فيالدرج وقال :
ــ يمكنني ان استبدلها بورقتين كل منهما من فئة العشرة دولارات .
وهنا قال ارنست هورتـــون :
ــ هذا يكفي ، فان لدي دولارا اعطيه للمستر بريكارد وآخذ احـــدى الورقتين ، لان ثمن هذه القوالب الستة تسعة دولارات .
وتناولت المسز بريكارد احد الاكياس .
ــ مـــا هـــذا ؟
فانتزعه زوجها من يدها وقال بسرعة :
ــلا تسألي عنها الان .
ــ لمـــاذا ؟!
ــ سوف اخبرك فيما بعد .
فالتمعت عيناها بالترقب ، وقالت :
ــ اهي نوع من المفاجآت ؟
ــ نعم ، وعلى الفتيات الصغيرات الا يحشرن انوفهن فيما لا يعنيهن .
وكان المستر بريكارد يدلل زوجته عادة بقوله : يا « فتاتي الصغيرة » .
وتراقص صوتها بالغبطة وقالت :
ــ ومتى سيسمح للفتيات الصغيرات برؤية هذه المفاجأة ؟
فدس الاكياس في جيب معطفه الكبير ، وهو يقول :
ــ في الوقت المناسب .
وكان يتصور منظرها عندما يعود ذات يوم وهو يعرج ، ثم وهو يخلع الحذاء ويطلعها على « قدمه المصابة » ثم كيف يكون وقع المفاجأة اخيرا .
ثم التفت الى ارنست هورتون وقال :
ــ اسمع ، لقد خطرت لي فكرة لعبة جديدة مسلية سوف اخبرك بها فيمـــا بعـــد .

فقال ارنست بحماس :

ــ مرحى . ان هذا ما يجعل الحياة محتملة . فلولا هذه اللحظات من المرح التي يختطفها الانسان بين الحين والاخر لمات غما .

ــ نعم ، نعم ، هذا راي ناضج ، راي ناضج تماما يا سيدي .

فقال ارنست وهو يضع ساقا على اخرى :

ــ ان انبثاق الافكار الجديدة في الراس لامر عجيب . فقد يكون الانسان مسافرا ومعه حقيبة ملابس عادية كما حدث لي ذات يوم ، واذا بفكرة جديدة تومض في ذهني وانا انظر الى الحقيبة الموضوعة في مكانها على الرف الاعلى من المقصورة . ان رجلا مثلي يقضي معظم وقته في السفر من مكان الى اخر قد يحتاج في بعض الاحيان الى بذلة سهرة لشهود بعض الحفلات الهامة التي لا غنى عن حضورها . ولكن هذه البدلة تحتاج الى مساحة كبيرة في الحقيبة ، رغم أن الانسان قد لا يستعملها غير مرة او مرتين في الرحلة الطويلة . وهذا ما اوحى الي بالفكرة الجديدة ، وهي تحويل اية بذلة كحلية او سوداء عادية الى بذلة سهرة انيقة ، وذلك بوضع تلبيستين حريريتين سوداويتين على ثنيتي السترة ، وشريطين حريريين اسودين على جانبي البنطلون . وبطبيعة الحال ستكون هذه الادوات بارعة بحيث لا يمكن لاحد ان يفطن الى الحقيقة . بل لقد وضعت تصميم كيس خاص يمكن وضع هذه الادوات الحريرية فيه بحيث تكون معدة للاستعمال في اية لحظة .

فصاح المستر بريكارد قائلا .

ــ هذه فكرة رائعة ، فأنا الان احتفظ ببذلة سهرة تحتل بمفردها نصف حقيبة ملابس . اما اذا اخرجت فكرتك الى حيز التنفيذ ، فانها ستوفر لي مكانا اضافيا في الحقيبة استطيع استغلاله فيما هو اجدى . انني مستعد للاشتراك في مشروع كهذا ، واعتقد ان نجاحه مضمون اذا احسنت الدعاية له ، بل في مقدورك ان تتفق مع احد كبار الممثلين لارتداء بذلة من هذا النوع والظهور بها في الحفلات ..

فرفع ارنست يده وقاطع الرجل قائلا :

ــ هذا كله قد دار بذهني ، ولكنني ادركت انني مخطىء ، فبعد ان وضعت تصميم كل صغيرة وكبيرة للمشروع ، وبعد ان عرضت بذلة من هذا النوع على صديق لي واعجب بها ، اذا به يفاجئني قائلا : ان جميع شركات الملابس ، وجميع خياطي بدل السهرة سوف يرصدون آلاف الدولارات لمحاربة مشروعي هذا . ان بذلة السهرة تباع في كل مكان بسعر يتراوح بين مائة

ومائة وخمسين دولارا ، فكيف آتي انا واخترع ادوات حريرية تحول ايــة بذلة قاتمة اللون الى بذلة سهرة ، وكل ما يمكن دفعه في هذه الادوات لا يزيد عن عشرة دولارات . أن صانعي بذل السهرة لا يمكن ان يتركوك وشأنك .

ــ نعم ، ان هذا صحيح . ومن حق هؤلاء ان يدافعوا عن كيانهم وعن مصالح حملة الاسهم في شركاتهم .

وقــال ارنسـت :

ــ ومع ذلك فاني لم اكف عن التفكير في هذا المشروع . انه ايضا يوفر الحمولة في الطائرة ، و . .

ــ انني مستعد للاشتراك معك في تنفيذ مشروع كهذا . هل حصلت على حق الامتياز لاستغلاله ؟

ــ نعم ، نعم ، انني اتخذ الاجراءات اللازمة للحصول على هـــذا الامتياز ، ولكن كما تعلم يستلزم بعض الوقت والمال .

ثم اردف قائلا ليغير الموضوع :

ــ متى يمكن ان نبدأ في السفر يا مستر شيكو ؟

فقال جون :

ــ ان سيارة جريهاوند تصل في نحو العاشرة حاملة بعض المسافريـــن والبضائع ، وعلينا هنا ان نبدأ السفر بعد وصولها بنصف ساعة . اي ان الوقت المرجح لسفرنا هو العاشرة والنصف . هل تريدون ايها السادة مزيدا مـــن القهـــوة ؟

ــ نعم ، مزيدا من القهوة مع الشكر .

واحضر جون القهوة ، ونظر عبر النافذة الى السيارة الحافلة التي كان يسميها « سويتهارت » اي « الحبيبة » ؛ بينما نظر بريكارد الى ساعة يده وقـــال :

ــ لا يزال امامنا نحو ساعـــة .

وفي تلك اللحظة اقبل من الخارج رجل عجوز طويل محنـــي القامة ، وكان المسافر الذي نام في سرير بمبلز . لقد فتح باب قاعة الطعام ، ودخل ، وجلس على احد المقاعد المثبتة ، وكان راسه محنيا بصفة دائمـــة لاصابة عنقه بتصلب في العظام ، وكان يبدو عليه انه تجـــاوز الستين من العمر ، كثيف الحاجبين ، مدبب الاسنان ، طويل النابين ، اصفر العينين ، ولهذا كان يبدو عنيفا شرســـا .

قـــال بلا مقدمـــات :

— انني غير راض عما حدث امس عندما تعطلت السيارة ، وانا لا زلت غير راض حتى الان .

فقال جـــون :

— لقد اصلحت العطب واصبحت السيارة الان في احسن حـــال فقال الرجـــــل :

— اعتقد انه من الافضل لي ان الغي رحلتـــي معك واعود في سيارة الجريهاوند الى سان سيدرو .

فقـــال جـــون :

— حسنا ، يمكنك ان تفعل هذا اذا شئت .

فعـــاد العجـــوز يقـــول :

— أن لدي احساسا ما .. احساسا يحـــــاول ان يحذرني من هذه الرحلة ، لقد خامرني في هذا الاحساس من قبل مرتين ولم اهتم به ، فكانت النتيجة اني عانيت الكثير من المتاعب .

فقال جون بصوت ينم عن الضيق :

— ان السيارة الان في حالة جيـــدة .

— انني لا اتحدث عن السيارة ، انني اعيش في هذه المنطقة ، بل انني ولدت فيها . والارض الان مشبعة بالماء ، ولسوف يرتفع نهر سان سيدور . وانت تعرف كيف يرتفع هذا النهر . انه ينبع من تحت قمة بيكو بلانكو مباشرة، ثم يقوم بحركة التفاف واسعة في خور لون باين كانيون ، وهذا يعني ان كل قطرة زائدة من مياه هذه الامطار سوف تتخذ طريقها الى النهر .

فارتسم الجزع على وجه المسز بريكارد ، وقالت :

— هل تعتقد اننا سنتعرض للخطر في الطريق ؟

فقال لها زوجها مطمئنا :

— لا يا عزيزتي .

فعاد العجـــوز يقـــول :

— ان لدي احساسا بخطر متوقع . كان الطريق القديم يمتد بجانـــب النهر دون أن يقطعه . ومنذ ثلاثين عاما تولى المستر ترراسك ادارة مصلحة الطرق في هذه المنطقة ، ولم يعجبه الطريق القديم ، فأنشأ معبرين علـــى النهر . فماذا وفر من طول الطريق بهما ؟ انه لم يوفر غير اثني عشر ميـــلا فقط . ومع ذلك فقد بلغت نفقات المعبرين سبعة وعشرين الف دولار ، لقـــد كان هذا المستر تراسك لصا .

ثم استدار بعنقه المتصلبة وتأمل آل بريكـــارد برهة قبل ان يستطرد قائـــــلا :
ــ نعم ، انه لص ، لقد مات منذ ثلاثة اعوام وهـــو موفور الثراء ، ومع ذلك لم يكن ينفق شيئا على ولديه الطالبين بجامعة كاليفورنيا . لقـــد تركهما يعيشان ويتعلمان على حساب دافعي الضرائب .
ثم توقف برهة ، وكشر عن نابه واردف قائلا :
ــ في رايي ان هذين المعبرين لن يتحملا فيضان النهر هذا العام ، ومن ثم سالغي رحلتي واعود الى سان سيدرو .
فقـــال جـــون :
ــ لقد كان النهر حتى اول امس شبه جـــاف .
ــ اذن فانت لا تعرف نهر سان سيدرو ، انه يفيض في خلال ساعتين، لقد رايته بنفسي يفيض ويبلغ اتساعه ميلا كاملا وقد تناثرت على سطحـــه اجسام الابقار الميتة وبقايا الاكواخ المتهدمة .
ــ هل تعتقد ان السيارة قد تثقل علـــى المعبر فيسقط بها في النهر ؟
ــ انا لا اعتقد شيئا ، كل ما اعرفه ان المستر تراسك مات تاركا وراءه مزرعة تساوي ستة وثلاثين الف جنيه ، وان ولديه يبعثران الان الامـــوال في الجامعـــة .
وهنا ترك جون مكانه وراء مائدة الخدمة ، وتناول سماعة التليفون وقال لعاملة الاتصالات التليفونية :
ــ ارجو الاتصال باستراحة المستر بريد على طريق سان جون ، انني لا اعرف الرقم ، حسنا ، سانتظر قليلا . آه كيف حالك يا مستر بريد ، انني شيكو ، جون شيكو صاحب استراحة ريبلز كورنر ، ما رايك في حالة النهر ؟ آه ، حسنا والمعبر ؟ حسنا جدا ، سوف اكون عندك في اقل من ساعتين .
واعاد السماعة الى موضعها ثم قال للحاضرين :
ــ ان النهر يرتفع بسرعة فعلا ، ولكن المعبر في حالة طيبة .
فقـــال العجـــوز :
ــ ان مياه هذا النهر ترتفع بمعدل ثلاثـــين سنتيمترا في كل ساعـــة عندما يفرغ فيه خور باين كاينون مياه المطر المتجمعة في جنباته واعتقد انـــك حين تصل الى ذلك المعبر فلن تجد له اثرا .
فاستدرا جون اليه في صبر نافد ، وقال :
ــ افعل ما تريد ، اما انا فسوف الغـــــي رحلتـــي واعود الى سان

سيدرو . انني لا اريد ان اجلب المتاعب علــى راسي بنفسي ، لقد خامرني ذات مرة هذا الاحساس بتوقع الخطر يستبد بنفسي منذ تعطلت السيــارة امســــس .

فقــال جــون :

ـ حسنا ، يمكنك ان تعتبر نفسك من غير ركاب السيارة .

ـ هذا ما اريده يا هذا ! انني احد سكان هذه المنطقة منذ اكثــر من نصف قرن ، وانت لا تعرف شيئا مما اعرف عــــن تراسك ، لقد كان مرتبه السنوي خمسمائة دولار ، فكيف ترك وراءه مزرعة تساوي ستة وثلاثين الف دولار ، هذا عربون شراء مائة وستين فدانا من الارض الزراعية ..

فقال جون :

ـ لسوف ابذل جهدي لكي اوفر لك مكانا فى سيارة الجريهاوند عند عودتها الى سان سيدرو .

ـ حسنا ، انني لا اقصد ان اتحدث بسوء عن تراسك ، وانما اردت ان اذكر فقط ما حدث ..

وهنا قاطع ارنست هورتون العجوز وقال لجون :

ـ لنفرض اننا وصلنا الى المعبر فوجدناه منهارا ، ماذا سيحدث ؟

فقــال جــون :

ـ في هذه الحالة لن نستطيع عبور النهر بالسيارة .

ـ هل ستعود بنا عندئذ الى هنا ؟

ـ طبعا : فاننا اما ان نفعل هذا او نجعل السيارة تقفز عبر النهر

ابتسم العجوز في انتصار قائلا :

ـ اترون ؟ انكم ستعودون الى هذا المكان لتجدوا ان سيارة الجريهاوند قد رحلت فيطريقها الى الجنوب .. عندئذ كم من الوقت سوف تبقون هنا ؟ شهورا ، اعني حتى يقيموا معبراً جديدا ! انتم تعرفون من هو مدير الطرق هنا ، انه شاب حديث التخرج من الجامعــــة ، مليء الراس بالنظريات ، ويستطيع ان يرسم تصميما للمعبر ، ولكنه لا يستطيع ان ينشئه . وسوف نــرى .

وفجــأة ضحك جــون قائـــلا :

ـ حسنا جداً ، انك تتحدث عن المعبر الجديد ، بينما القديم لــم يتحطم بعــــد .

فاستدار العجوز اليه بعنقه المتصلب ، وقال بحدة :

ـــ هل تريد ان تسخر مني ؟
فالتمعت عينا جون السوداوان ببريق غامض ، وقال :
ـــ هذا شأني ، ولكنني سأضعك في سيارة الجريهاوند واطمئن عليك ، فلا تقلق ، انني لا اريد ان تكون معنا في هذه الرحلة .
فهز جون كتفيه ، وقـــال :
ـــ انك لا تستطيع ان تطردني ، فما انت الا سائق سيارة عامة .
ـــ حسنا ، انني احيانا اتساءل لماذا احتفظ بهذا الخط من المواصلات ، انه مثار متاعب لا حصر لها . ربما الغي امتيازي بعد انتهاء مدته .
وهنا قالت برنيس فجـــأة :
ـــ يقولون ان المكسيك الان في فصل الجفاف ، وان الامطار لا تكثر فيها الا في الصيف فهل هذا صحيح ؟
فقالت ميلدرد :
ـــ اعتقد ان المستر شيكو يستطيع ان يجيبك على هذا السؤال يـــا اماه ، لقد ولد هنـــاك .
ـــ اوه ، احقا يا مستر شيكو ، هل فصل الجفـــاف هو السائد الان في المكسيـــك ؟
ـــ نعم ، في بعض الاماكن التي ستقصدونهـــا ، ولكن هناك مناطق لا تنقطع عنها الامطار على مدار العام .
فتنحنح المستر بريكارد ، وقال :
ـــ اننا ذاهبون الى مدينة المكسيك ، العاصمة ، ثم الى بوبلا ، ثم الى جورنافاكا ثم الى موسكو ، وربما واصلنـــــا الرحلة الى اكابلكو لنشاهد البركان هناك ان امكن .
ـــ لسوف تتمكنون من الاستمتاع برحلتكم قطعا .
ـــ اتعرف هذه الاماكـــن ؟
ـــ نعم . بلا ريـــب !..
ـــ كيف حال الفنادق فيها ؟
فابتســـم جـــون وقـــال :
ـــ فاخرة ، طعام الافطار يأتي اليك وانت في الفراش ، وهكذا وابتسم له المستر بريكارد وقال في شبه اعتذار :
ـــ انني لم اقصد ان اثير بعض المتاعب في هذا الصباح .
وعقد جون ذراعيه على مائدة الخدمة، وانحنى الى الامام يجذعـــــه

الاعلى وقال في صوت هادىء :

ـ حسنا ، حسنا . انني في بعض الاحيان اشعر بالملل من هذه الحياة الرتيبة ، ومن الاستمرار في قيادة السيارة يوما بعد يوم في مواعيد منتظمة من هنا الى مدينة سان جوان دي لاكروز ، ومنها الى هنا ، وانه ليخطر ببالي احيانا ان امضي بها الى التلال الرحيبة الممتدة الى غاية البصر . وقد سمعت عن ربان سفينة صغيرة تنقل المسافرين من نيويورك الى بعض الجزر القريبة ، ثم تعود بهم من هذه الجزر الى نيويورك ، وفي النهاية انطلق ذلك الربان ذات يوم بسفينته الى عرض البحر ولم يعد ، لم يسمع احد عنه شيئا ، ويقال انه غرق بالسفينة ، ويقال انه يعيش الان في احدى جزر هاواي ، او في مكان ما من هذا القبيل . انني في الواقع ادرك البواعث التي دفعت به الى هذا العمل .

وكانت ميلدرد تنظر الى جون مفتونة الاحساس . لقد شعرت ان هذا الرجل الناضج القوي ذا العينين السوداوين يثير في نفسها عواطف معينة تجذبها اليه وتجعلها ترغب في جذب انتباهه اليها ، انتباهه الخاص ، اليها هي وحدها . وكانت قد القت بكتفيها الى الوراء قليلا لكي تجعل نهديها اكثر بروزا واغراء .

وقالت وهي ترفع النظارة عن عينيها حتى يراهما على الطبيعة ، وهو يجيب على سؤالها :

ولماذا هاجرت من المكسيك ؟

ـ انني لا ادري .

وقالت ميلدرد لنفسها حين شعرت بالرغبة الجنسية تثور في اعماقها :

« يجب ان اضع لهذا حدا . ما لي انا ولهذا الرجل الجذاب الفاتن » .

وعاد جون يقول :

ـ ربما تركت بلادي لان الناس هناك يعملون كثيرا ولا يحصلون الا على القليل من المال .

فقالت المسز بريكارد في لهجة الانسان الذي يثني على انسان اخر :

ـ انك تجيد الحديث بالانكليزية !

ـ لماذا لا ؟ ان ابي ايرلندي ؟ ولهذا فاني اجيد اللغتين الانكليزية والاسبانية معا .

وكانت عينا جون تداعب عيني ميلدرد وتتبادلان معا احاديث جنسية صامتة . فكانت نظراته مثلا تطوف بنهديها ، وتتحسسهما ، ثم تهبط الى

ردفيها ، ثم تتركزان على خصرها النحيل ، وتشعران بالاحساسات الدافئة التي كانت تفور تدريجيا في اعماق نفس الفتـــــاة ، وكانت هي بدورها تكاد تشعر بأصابعه تتحسس ردفيها وتثير في نفسها الرغبة الجنسية الحارة . وبدأ جسمها يرتعد ويمتلىء باللهفة الى جسم هذا الرجل ، وعبثا حاولت ان تخفف منها او تهدئها ، بينما كان هو يشعر بالانتصار .. انتصار الرجـــــل الملون على هذه الفتاة البيضاء المتغطرسة ، انه يعلم في تلك اللحظة ان في مقدوره العبث بها ، والتلاعب بعواطفها ، وتحطيم كبريائها . وارغامها على الخضوع الكامل لرغباته .

وفجأة نهض المستر بريكارد ، وقال :

ـــ انني سأخرج لاتمشى قليلا ، هل ستأتين معي يا برنيس ؟

فقالت زوجته وهي تنهض :

ـــ نعم ، بكل تأكيـــد .

ونظرت ميلدرد في غيظ الى والدها وهي تشعر كأنما قطع عليها اجمل لحظة في حياتهـــا !



الفصل السادس

ساحرة الرجال

عندما افاقت اليس من اضطرابها العصبي ، نهضت وغسلت وجهها وبذلت جهدها في تجميله وفي ازالة كل اثر من القلق والاضطراب عليه ، ثم مضت الى غرفة نوم نورما ، وطرقت على الباب برفق ، ودخلت باسمة ، لترى نورما تسرع باخفاء رسالة في درج الخزانة .

وكانت اليس تعلم تماما انه لا توجد علاقة ما بين نورما وزوجها جون ؟ وكذلك كانت تعلم ان نورما ، رغم حداثة سنها ، من الفتيات اللائي لا يفرطن في عرضهن ببساطة وانها تعيش في عالم من احلامها الخاصة ، وانها تكتب خطابات لشخص ما وتخفيها ، قبل ارسالها في مكان خفي بغرفة نومها . وكثيرا ما حاولت اليس بدافع من الفضول الانثوي ان تظفر بخطاب من هذا النوع لتقرأ محتوياته على ضوء الشمس دون ان تفتحه . ولكن نورما كانت مدربة على اخفاء اسرارها ، وقد بلغ من حرصها انها كانت تضع في كل درج من ادراج خزانتها ورقة او قطعة قماش في وضع معين ، فاذا تغير الوضع عرفت ان يدا ما حاولت أن تعبث بحاجياتها لتعرف اسرارها . اما مفتاح حقيبتها الخاصة فكان لا يفارق صدرها ليلا او نهارا .

وكذلك ادرك بمبلز اخيرا انه لا جدوى من محاولاته الايقـــاع بنورما ، فكثيرا ما حاول اغراءها على ان تفتح له نافذتها المطلة على الممر الخلفي في ساعة معينة من الليل ، ولكنه لم ينجح ، وكثيرا ما كان يقضي الليـــل خارج النافذة يخشمها بأصابعه ليوقظ نورما او يثير في نفسها دبب الرغبة الجنسية حين تعلم ان وراء النافذة شابا يشتهيها ، بينما كانت هي تضع الوسادة على رأسها وتستغرق في النوم .

ولما دخلت اليس غرفة نوم نورما ، نظرت الفتاة اليهـــا في جزع وقالت بسرعـــــة :

ــ تأكدي يا مسز شيكو لم ارتكب شيئا ما ، مع ذلك الرجل !

فابتسمت اليس برفق وقالت وهي تتقدم نحو نورما :

ــ انا اعرف يا عزيزتي انه لم يحدث بينكما شيء .

واغضت اليس بعينيها كأنما تشعر بالخجل من نفسها . وكانت قـــد قررت ان ترضي نورما بكل وسيلة ممكنة . اما الفتاة فقد قالت عاتبة :

ــ اذن ما كان يجب ان تقولي هذا ، افرضي ان احدا سمعك واعتقد ان ما تقولينه عني صحيح ، فكيف يكون الحال ؟ انني لست فتاة مـــن هـــذا النوع الرخيص كما تعلمين .

وفجأة امتلأت عينا نورما بالدموع ، وهي تردف قائلة :

ــ انني مجرد فتاة تريد ان تعيش بشرفها دون ان تثير اية متاعــــــب لاحــــــد .

فقالت اليس بلهجـــة كلهـــا أســـف :

ــ انني اعتذر اليك يا نورما ، حقـــــا ما كان ينبغي ان اقول هذا لك ولكنني كنت اعاني من توتر شديد في اعصابي ، لا سيما في مثل هذا الوقت من كل شهر . وانت تعلمين كيف تكون الواحدة منا عندئذ في حالة اضطراب عصبـــي شديـــد !

تنقض على جون وتنتزعه منها ، ولهذا السبب حرصت نورما على ان تكون التي تبدو فيها اليس رفيقة لطيفة على شيء من الحنان . لقد ادركت منـــذ الاسبوع الاول من بدء عملها مع اليس انها امراة تكره غيرها من النســـــاء والفتيات كراهية غريزية وكانما تجد في كل واحدة منهن غريمة لها تريـــد ان تنقض على جون وتنتزعه منها ، ولهذا السبب حرصت نورما على ان تكون علاقتها بجون علاقة عمل فقط ، حتى الحديث العادي قررت الا يجري بينها وبينــــــه .

وعادت اليس تقول وقد شعرت بالرضا والارتياح وهي ترى الدموع تملأ عيني نورما :

ــ انت تعرفين يا عزيزتي نورما كيف تكون حالة الواحدة منا في مثل هذه الظروف ! انها احيانا تشعر كأنما ستفقد عقلها .

فقالت نورما بصوت رقيق ينم عن لهفة الانسان الذي يتمنى ان يجد له صديقا واحدا في الحياة :

ــ انا اعرف .. اعرف تماما ، واني التمس لك العذر .

فابتسمت اليس في حنان ، وقالت :

ــ شكرا يا نورما ، والان هلم اتبعيني ، لان جون يقوم بمفرده على خدمة العملاء .

ــ لسوف الحق بك بعد لحظة .

ومضت اليس الى قاعة الطعام وهي تبتسم لنفسها .

لقد عرفت اخيراً اين وضعت نورما الرسالة الاخيرة .



ونترك الان اصحابنا هؤلاء في استراحة ريبلز كورنر ، ونعود الى مدينة سان سيدرو حيث نجد سيارة شركة جرينهاوند الكبيرة الفاخرة واقفة امام مخزن شحن البضائع واستراحة المسافرين ، وعمال البنزين يملأون خزاناتها ، وعمال الشحن يرفعون البضائع الى اعلاها عن طريق سلم حديدي صغير في مؤخرتها ، وفي داخلها كان احد العمال الزنوج ينظف الارضية وما بين المقاعد وما خلف المساند ويرجو في الوقت نفسه ان يعثر على حافظة نقود ليأخذ بعض ما فيها ويعيدها الى مكانها حتى يعثر عليها العامل في المحطة التالية . وكان المعتاد ان يجد بعض قطع من النقود والمرايا والمناديل وافمام السجائر وما الى هذا . وكان المعتاد ايضا ان يحتفظ لنفسه بقطع النقود ، ويعيد الاشياء الاخرى الى مكتب الامانات حتى يطالب بها أصحابها .

وفجاة تحقق رجاؤه ، فاذا هو يجد حافظة نقود محشورة بين مسندي مقعدين ، فلما فتحها وجد فيها ورقتين ماليتين ، كل ورقة من فئة الخمسين دولارا ، وبعض اوراق اخرى تخص صاحب الحافظة ، وتلفت جورج ،

العامل الزنجي ، حوله وقد راح يغص بريقه الذي جف فجأة ، ولاحظ وجود احد العمال الذين يغسلون نوافذ السيارة من الخارج بالقرب منه ، فقرر ان ينتظر قليلا حتى تتاح له الفرصة ليخفي الورقتين الماليتين داخل بنطلونه الازرق ، ثم يعيد الحافظة الى مكانها لكي يعثر عليها العامل في المحطة التالية وفي هذه الحالة لن يكون مسئولا عنها او عما فيها .

ولكن قبل ان تتاح له الفرصة المنشودة ، سمع وراءه خطوات يعرفها جيدا ، انها خطوات لوي سائق السيارة ، ثم اذا به يسمع صوته العميق يقول له :

ها ، جورج ، الم تعثر على حافظة نقود يقول صاحبها انها سقطت منه هنا ؟

فغمغم جورج بكلمات مضغمة ، بينما عاد لوي يقول :

ــ حسنا ، سوف اعود بعد قليل ريثما تعثر عليها .

فاستدار جورج وهو راكع على الارض ، وقال :

ــ لقد عثرت عليها ، وكنت انوي ان اقدمها الى مكتب الامانات

فقال لوي وهو يأخذ الحافظة من جورج ويفتحها ليتأكد مما فيها :

ــ يقول صاحبها ان فيها ورقتين ماليتين ، كل ورقة من فئة الخمسين دولارا وبعض الاوراق الخاصة . آه ، تماما ، آسف يا جورج ارجو لك حظا اسعد في المرة التالية .

فقال جورج وهو يحاول ان يبتسم :

ــ ماذا لو أن صاحب هذه الحافظة دفع لي مكافأة بسيطة !

وكان عامل تنظيف السيارة من الخارج يطل برأسه في تلك اللحظة ويتابع المناقشة باسما . وقد قال :

ــ نعم ، نعم ، يا جورج ، لا بد من المكافأة .

وغادر لوي السيارة الى استراحة الركاب حيث وضع الحافظة على مكتب موظف الامانات وقال :

ــ لقد عثر عليها جورج ، انه فتى طيب القلب .

وكان لوي يعرف ان الرجل الواقف بجانبه هو صاحب الحافظة ومن ثم اردف قائلا دون ان يلتفت اليه :

ــ لو كنت انا صاحب هذه الحافظة لدفعت لجورج مكافأة بسيطة تشجيعا له على امانته . فأنا اذكر ذات مرة ان عاملا عثر على الف دولار واعاد المبلغ الى صاحبه الذي ابى ان يكافئه بشيء فكانت النتيجة ان تحول

هذا العامل الى لص خطير . حسنا ، كم عدد المسافرين معــي الــى الجنــوب ؟

فقال الموظــف :

ــ ان سيارتك كاملة العدد ، وبين المسافرين راكب واحد سينزل في ريبلز كورنر ، ولا تنس الفطائر هذه المرة كما فعلت مع الخمســين فطيرة في المرة السابقة . ان المتاعب التي عانيتها بسبب هــذه الفطائر لا حصر لها .

ثم اردف قائلا لصاحب الحافظة :

ــ هذه هي حافظتك يا سيدي ، تحقق مما فيها قبل ان تنصرف وقال صاحب الحافظة بعد أن اطمأن الى كل ما فيها :

ــ هذه خمسة دولارات مكافأة .

وقرر لوي ان يعطي جورج دولارا واحدا ويحتفظ لنفسه بالباقــي ذلك انه كان يرى الحياة مجرد فرص ، وكان واثقا تماما انه لولا وصوله في الوقت المناسب لاختفت المائة دولار من الحافظة قطعا . وكان لوي رجلا في الخامسة والثلاثين من عمره ، كبير الجسم ، ممتلئا الى حد ما ، حسن الهيئة ، حريصا على اناقة ملابسه ، اقرب ما يكون منظرا الى ممثلــي السينما المعروفين .

وراى لوي العامل جورج يطل براسه من باب المخزن ، فتقدم اليه واعطاه الدولار وهو يقول له :

ــ اليك هذا الدولار يا ابن . . . انه لم يدفع غيره ، عليه اللعنة .

فنظر جورج في وجه لوي برهة ، وادرك انه كاذب ، ولكن ماذا كان في وسعه ان يفعل ! ان في مقدور لوي ان يؤذيه اذا شاء ، ومن ثم هز كتفيه، وقــــال :

ــ شكــرا .

وانتهت عملية شحن وتنظيف السيارة ، فتحركت الى الامام قليــلا لكي تحل سيارة اخرى محلها ، وفيما كان لوي واقفا ينتظر الموعـــد المحدد لصعود الركاب اذا به يرى فتاة مقبلة نحو الاستراحة حاملة في يدها حقيبة ملابسها ، رغم انه لم يتبين ملامحها جيدا لان الضوء كان ينساب من خلفها ، الا انه ادرك انها فتاة من النوع الذي يتمنى هو ان تجلس على المقعد الوحيد وراءه مباشرة . انهــا فتاة جميلة كمــا شعر ، لا كمــا راى بعينيه ، وهي ليست جميلة فحسب ، وانما تفوح ايضا بالجاذبيـــــة

الجنسيـــة .

ورآها تمضي الى نافذة حجز التذاكر ، فلـم يمض وراءهـا انمـا ذهب الى دورة المياه ، وبلل اصابعه في مياه الحوض ، ومسح بها على شعره بضع مرات ، ثم تناول من جيبه مشطا صغيرا وراح يمشـط به شعره الى الوراء . وبعد آن اطمأن تماما الى انه لا توجد ذؤابات متنافرة منه ، آخذ يمشط شاربه الذي لم يكن في حاجة الـى تمشيط ، ثم ارتدى سترته الرسمية الرمادية ، وشد الحزام على وسطه ثم اعاد المشط الى جيبه ، وتأمل نفسه في المرآة ، ثم تحسس جوانب شعره ليتأكد من حسن تصفيفه ، واصلح رباط عنقه ، ثم وضع في فمه بضع حبـات من السن ـ سن . وبعدئذ نفض نفسه كما ينفض الديك ريشه عندما يهم بالتحويم حول دجاجة معينـة .

وكان لوي لا يكاد يكف عن التفكير في الفتيات الجميلات لحظة واحدة طيلة ساعات يقظته . وكان يحب ان يوقع بهن بين احضانه ثم يتخلـى عنهـن .

وتقدم خارجا من دورة المياه حيث رأى اثنين من العمال يحمـلان صندوقا ضخما من الورق المقوى مكتوبا على جانبه هذه العبارة « فطائر مختلفة ، عددها خمسون فطيرة ، صناعة منزلية ، خاصة باستراحـة ريبلز كورنر التي يملكها المستر جون شيكو » . وكان العاملان يمضيـان بالصندوق الى السلم الخلفي للسيارة ليضعاه في اعلاها .

ولمح لوي الفتاة جالسة على متكأ في غرفة الاستراحة ، وحقيبـة سفرها بجانبها على الارض ، وفيما هو يعبر الغرفة ، ارسل نظرة سريعة الى ساقيها ، ثم علق نظراتها في نظرة طويلة مركزة منه ، ثم وضع هذه الابتسامة الرقيقة على شفتيه ، وتقدم نحوها ، ولكن الفتـاة اعادت النظر اليه ثم اشاحت بوجهها دون ان تبتسم .

واحس لوي بالاستياء وخيبة الامل ، انه لم يستطع ان يشيع في نفسها الاضطراب والارتباك بنظرته الطويلة المركزة . وانما وجد انها لم تهتم بأمره في قليل آو كثير . هذا مع انها جميلة حقا ، جميلة الساقين والردفين ، بلا بروز عند البطن ، ولا تخاذل عند الصدر ، وانما نهدان كبيران بارزان ، وشعر طبيعي اللون كالذهب ، وعينان مكحلتان ، وبشرة ناعمة وملامح متناسقة ، وشفتان مدممتان ممتلئتان وكانت ترتدي سترة انيقة وجونلـة ضيقة . وهكذا جمعت في نظر لوي بين الاناقة والجمال .

الجنسيـــة .

ورآها تمضي الى نافذة حجز التذاكر ، فلـــم يمض وراءهـــا انمـــا ذهب الى دورة المياه ، وبلل اصابعه في مياه الحوض ، ومسح بها على شعره بضع مرات ، ثم تناول من جيبه مشطا صغيرا وراح يمشـــط به شعره الى الوراء . وبعد آن اطمأن تماما الى انه لا توجد ذؤابات متنافرة منه ، أخذ يمشط شاربه الذي لم يكن في حاجة الـــى تمشيط ، ثم ارتدى سترته الرسمية الرمادية ، وشد الحزام على وسطه ثم اعاد المشط الى جيبه ، وتأمل نفسه في المرآة ، ثم تحسس جوانب شعره ليتأكد من حسن تصفيفه ، واصلح رباط عنقه ، ثم وضع في فمه بضع حبـــات من السن ـــ سن . وبعدئذ نفض نفسه كما ينفض الديك ريشه عندما يهم بالتحويم حول دجاجة معينـــة .

وكان لوي لا يكاد يكف عن التفكير في الفتيات الجميلات لحظة واحدة طيلة ساعات يقظته . وكان يحب ان يوقع بهن بين احضانه ثم يتخلـــى عنهـــن .

وتقدم خارجا من دورة المياه حيث رأى اثنين من العمال يحمـــلان صندوقا ضخما من الورق المقوى مكتوبا على جانبه هذه العبارة « فطائر مختلفة ، عددها خمسون فطيرة ، صناعة منزلية ، خاصة باستراحـــة ريبلز كورنر التي يملكها المستر جون شيكو » . وكان العاملان يمضيـــان بالصندوق الى السلم الخلفي للسيارة ليضعاه في اعلاها .

ولمح لوي الفتاة جالسة على متكأ في غرفة الاستراحة ، وحقيبـــة سفرها بجانبها على الارض ، وفيما هو يعبر الغرفة ، ارسل نظرة سريعة الى ساقيها ، ثم علق نظراتها في نظرة طويلة مركزة منه ، ثم وضع هذه الابتسامة الرقيقة على شفتيه ، وتقدم نحوها ، ولكن الفتـــاة اعادت النظر اليه ثم اشاحت بوجهها دون أن تبتسم .

واحس لوي بالاستياء وخيبة الامل ، انه لم يستطع ان يشيع في نفسها الاضطراب والارتباك بنظرته الطويلة المركزة . وانما وجد انها لم تهتم بأمره في قليل أو كثير . هذا مع انها جميلة حقا ، جميلة الساقين والردفين ، بلا بروز عند البطن ، ولا تخاذل عند الصدر ، وانما نهدان كبيران بارزان ، وشعر طبيعي اللون كالذهب ، وعينان مكحلتان ، وبشرة ناعمة وملامح متناسقة ، وشفتان مدممتان ممتلئتان وكانت ترتدي سترة انيقة وجونلـــة ضيقة . وهكذا جمعت في نظر لوي بين الاناقة والجمال .

وتأمل لوي وجهها وهو يعبر الغرفة وقد خامره احساس بأنه سبق ان رأى هذه الفتاة وان كان لا يذكر متى واين . ولكن لعلها تشبه فتاة سبق أن رآها او ربما رآها في دور صغير بأحد الافلام السينمائية . ولاحظ لوي الفتاة جالسة بهدوء تام وبلا اية ظواهر للتوتر العصبي ، وهو عادة يخشى هذا النوع من الفتيات الهادئات المتمالكات لاعصابهن .

وفيما هو يوشك على الانصراف قرر لوي ان يعاقبها على استخفافها به ، بالنظر الطويل الى ساقيها ، وكان يعرف ان هذه النظرة تجعل الفتاة تضطرب وتحاول اخفاء الجانب الاكبر من ساقيها ولكن هذه الفتاة ظلت في مكانها لا تهتز او تتحرك . وعندئذ قال لنفسه مواسيا . لعلها من بنـــات الليل . ولعل اجرها لا يزيد عن ثلاثة جنيهات ..

ثم ضحك لنفسه واردف قائلا :

« ولكن بنات الليل لا يرتدين ملابسهن بمثل هذه الاناقـــــة والذوق الرفيـــع » .

ومضى لوي الى نافذة حجز التذاكر ، وابتسم للموظف الجالس بها وكان يدعى ادجار ، وكان هذا شديد الاعجاب بـــ « لوي » ويتمنى ان يكون مثله ذات يوم .

وساله لوي قائلا :

ــ الى اين ستمضي تلك الحمامة .

ــ الحمامة !

ــ نعم ، الجميلة الشقراء .

فغمز ادجار بعينيه ، وقال باسما :

ــ آه ، نعم . الى الجنوب .

ــ في سيارتـــي ؟

ــ نعـــــم .

وراح لوي ينقر بانتظام على ارضية النــــافذة وقـــد استغـــرق في التفكير . ولكن ادجار لم يلبث ان قال له فجأة :

ــ هل تريد ان تلتقط هذه الحمامة ؟

ــ لا بأس من المحاولة ، انها من بنات الليل كما يبدو .

فلمعت عينا ادجار وقال بحماس :

ــ وماذا عن بنات الليل ، ماذنبهن و ..

ولكن الشاب تمالك نفسه ثم عاد يقول معتذرا :

ــ انني آسف يا لوي ، وبهذه المناسبة اريد ان اقول قبل ان انسى

ارجوك ان تشرف على حمل صندوق الفطائر وتوصيله سالما الى اصحابه في ريلز كورنر . لقد حدث في المرة السابقة ان اختلطت الفطائر بعضها ببعض ، واضطررنا الى دفع ثمنها لاصحابها .

فقال لوي في اعتزاز وثقة بالنفس :

ـ لم يحدث مثل هذا في نوبتي ابدا .

وقبل ان يتمادى لوي في شعوره بالاستياء ، اذا به يرفع عينيه الى الساعة الكبيرة المعلقة على الحائط ، وفيما هو يتأملها لمح في زجاجها صورة الفتاة وهي تتأمله من الخلف ، ومن ثم زال كل شعور له بالاستياء وابتسم لادجار ، وقال له :

ـ لسوف اعنى بصندوق الفطائر حتـــى تصل كلهـــا سليمة الى اصحابهـــا .

ثم اردف قائلا وهو يغمز بعينه :

ـ يبدو اني سأقضي وقتا لطيفا مع هذه الفاتنة .

واستدار ببطء وراح يتأمل مرة اخرى وجه الفتاة الجميل ، ويحاول ان يلتمس فيه كل الامارات التي تنم عن الجاذبية والميل الجنسي الشديد . وقد وجد هذه الامارات في استدارة انفها واتساع المسافة بين عينيها ، وفي لون شعرها ، وكانت في جملتها فتاة تلفت نحوها انظار جميع الرجال اينما ذهبت .

وقرر لوي ان يطبق الدرس الثاني في فن المناورات الغرامية ، فوضع على شفتيه ابتسامة رقيقة تنم عن الاحترام ، ثم علق نظراتها بنظرة طويلة منه ، ولاحظ للمرة الاولى ان البرود زال من نظراتها ، فتقدم منهـــا ، وقـــال :

ـ سمعت انك راحلة الى الجنوب في سيارتي يا سيدتي ، واعتبر هذا شرفا كبيرا .

ورفت على شفتي الفتاة ابتسامة خفيفة جعلت لوي يردف قائلا :

ـ لسوف اعنى بحقيبتك اذ اننا على وشك التحرك . لم يبق غير ثلاث دقائق .

فقالت الفتاة بصوت يفوح ايضا بالجاذبية الجنسية :

ـ شكـــرا .

ـ دعيني احمل عنك حقيبتك لاحفظ لك بها المقعد المناسب المريح .

ـ انها حقيبة ثقيلة .

فابتسم لوي وقال :
ــ وانا لست قزما كما ترين !
ثم التقط الحقيبة وحملها ببساطة ، وصعد بها الى داخل السيارة حيث وضعها بجوار المقعد الامامي المفرد الذي يقع وراءه مباشرة ناحية اليمين ، انه يستطيع عندئذ ان يرى الفتاة طوال الطريق بواسطة المرآة الموضوعة امامه ، كما يمكنه ان يتبادل معها الحديث بين الحين والاخر .

وفي خلال هذه اللحظات الاخيرة ، كان الركاب يقومون بحركة نشاط كبيرة في متجر بيع الحلوى والصحف قبل الانتقال الى السيارة ، ووقف لوي بجانب بابها يتطلع الى الركاب وهم يشترون الشطائر والصحف والحلوى ، وقد شاهد احد الصينيين يشتري عددين من مجلتي تايم ونيوزويك ، ورأى اثنين من الهنود بعمامتيهما الكبيرتين واقفين في حيرة دون ان يستطيعا التفاهم مع احد ، اما الفتاة الحسناء ، فقد لاحظ ان كل رجل وامرأة كان يختلس ، مثله ، النظر اليها بين الحين والاخر وكانما هي مخلوقة فريدة من نوعها .

واخيرا صعد لوي الى مقعد القيادة ، وفتح للركاب ليصعدوا بدورهم ، وكانت اول الصاعدين سيدة عجوز اتجهت فورا الى المقعد المفرد الذي وراءه وارادت ان تجلس عليه ، فقال لها :
ــ معذرة يا سيدتي ، ان هذا المقعد محجوز .
ونظرت السيدة اليه شذرا ، ثم قالت بحدة :
ــ ماذا تعني بكلمة محجوز ؟ انني لم اعرف يوما ان المقاعد في السيارات العامة تكون محجوزة .

وكان بعض الركاب قد صعدوا وجلسوا في المقاعد الخلفية من السيارة ، وقد اجاب لوي على السيدة العجوز قائلا مرة اخرى :
ــ ان هذا المقعد محجوز يا سيدتي ، الا ترين الحقيبة الموضوعة بجانبه .

وكان لوي بطبيعته يكره السيدات العجائز ويخشاهن ولا يطيق رائحتهن . وكان يعرف ان المراة التي فقدت شبابها تماما تصبح عنيفة قاسية اذا رات شابا يحاول ان يرضي فتاة حسناء على حسابها .

ولمح لوي الفتاة بطرف عينه وهي تهم بالصعود الى السيارة بينما كانت السيدة العجوز لا تزال واقفة في مكانها ، وهنا افلت منه زمام اعصابه

فقال بحدة وغضب :

ـــ اسمعي يا سيدتي ، انني صاحب الكلمة في هذه السيارة ، وهناك مقاعد كثيرة خالية بها ، فأرجوك ان تمضي وتختاري اي مقعد منها .

فحملقت العجوز في وجهه بنظرات نارية ، ثم استدارت نحو المقعد الواقع وراء المقعد المحجوز مباشرة وهي تقول بحدة :

ـــ اننا نعرف انك حجزت هذا المقعد لتلك الفتاة ، واني افكر جديا في التبليغ عنك لدى رؤسائك في الشركة .

فانفجر لوي قائلا بغضب :

ـــ حسنا يا سيدتي . افعلي ما تريدين ، فان لدى الشركة ركابا كثيرين ، ولكن ليس لديها سائقين ممتازين .

ولاحظ ان الفتاة كانت تنصت الى هذا الجدل ، وشعر بالغبطة والرضى ، اما العجوز فقد استطردت قائلة لتزيد من غضبه :

ـــ ايا كان الامر ، فسوف ابلغ عنك .

فقال لوي بصوت مرتفع :

ـــ قلت لك افعلي ما تريدين ، بل يمكنك ايضا ان تنتظري السيارة الاخرى التي ستتحرك بعد ست ساعات ، ولكنك لن تجلسي على هذا المقعد ، لانه محجوز لراكبة تحمل شهادة طبية .

ونجحت هذه الحيلة في خداع العجوز التي لم تلبث ان قالت في شيء من الخجل :

ولماذا لم تذكر هذه الحقيقة ! انني لست عنيدة او قاسية ، ومع ذلك فسوف أبلغ عنك لانك تحدث الركاب بلهجة خشنة .

فقال لوي ، وهو يهز كتفيه :

ـــ حسنا ، انني معتاد على هذا .

ولما جلست العجوز في اقرب مقعد الى الفتاة ، قال لوي لنفسه :

«لسوفتركز سمعها على كل كلمة اقولها لكي تبلغ عني. حسنا لتفعل ما تريد ، فان حاجة الشركة الى السائقين اشد من حاجتها الى مزيد من الركاب» .

وكانت الفتاة قد وقفت بجانبه عند ئذ تقدم اليه تذكرتها ، فقال لها متسائلا :

ـــ الن تذهبي الى أبعد من ريبلز كورنر ؟ .

فقالت الفتاة وهي تبتسم لما بدا في لهجة صوته من استياء ؟

ــ سوف اركب السيارة الاخرى هناك لاصل الى مدينة سان جــون دي لاكروز .

فاشار الى المقعد القريب منه وقال :

ــ هذا هو مقعدك .

ثم راح يرقبها في مرآته وهي تجلس ، ثم وهي تضع ساقا على ساق ثم وهي تجذب طرف ثوبها لتغطي ركبتيها ، ثم وهي تضع كيس نقودهـــا بجانبها .

وكانت الفتاة تعرف ان لوي يراقب كل حركة تقوم بها ، اذ كـــان هذا هو شأنها دائما كلما ركبت سيارة عامة . وكانت تعرف ايضا انها تختلف عن غيرها من الفتيات ، ولكنها لا تعرف لماذا ؟ وبطبيعة الحال كان يسرها ، من جهة ، ان يحجز لها السائقون احسن مقعد في السيارة دائما ، وان يشتري لها المعجبون طعام الغداء اثناء السفر وان يبادر كل رجل وشـــاب الى التقرب منها ومحاولة اسداء اية خدمة اليها . ولكن هذا كله لم يكن يخلـــو من متاعب في النهاية . فقد كان عليها دائما ان تناقش ، وان تجادل ، وان تشق طريقا للخلاص حينا بالاهانة ، وحينا بالعراك . وكانت تعـــرف ان الرجال جميعا يريدون منها نفس الشيء ، وان من غير المعقول ان ترضيهم جميعا .

وكثيرا ما كانت تعاني الالام في هذه الحالة وهي في سن الصبا ، اما الان ، فقد راضت نفسها على الاحتمال ، ودربت نفسها على مناورات الرجال حولها حتى اصبحت قادرة على معرفة كل حركة يقوم بها الرجل ، وكل كلمة يقولها .

وكان اشد ما يثير سخطها ويضايقها اولئك الرجال الذين يظهرون لها ، في اول الامر ، الرغبة في رعايتها وتقديم المساعدة لها والعمل على حمايتها دون ان يطالبوها بشـيء . ولكنها كانت في الوقت نفسه تقـرا حقيقة رغباتهم كما تقرأ كتابا مفتوحا ، وكثيرا ما كانت تتمنى لو انهم تركوا النفاق جانبا وتصرفوا معها كما يتصرف بعض الرجال الذين يراودونها عن نفسها بلا لف او دوران تاركين لها الحرية في ان تقبل او ترفض .

واشد ما كان يسخطها ويؤلمها ايضا ذلك الصراع الخفي او الصريح الذي يدور بين الرجال كلما ظهرت بينهـــم . انهم يتصارعـــون بعنف وحدة وقسوة كالكلاب ، كل يريد أن يستأثر بها دون الجميع . وكم تمنت في حياتها

لو ان النساء يحملن لها بعض الحب ، ولكن هذا لم يحدث ابدا . لقد كانت الكراهية تطل من عيون النساء بمجرد ان تقع نظراتهن عليها . وهــي ذكية تعرف السر في هذا ، ولكن ماذا في وسعها ان تفعل . ان كل ما تريده من الحياة هو بيت لطيف ، في مدينة لطيفة ، وطفلان ، وملابس جميلة ، واصدقاء وصديقات يقبلن دعوتها للعشاء بين الحين والاخــــر ، وزوج طبعا ، ولكنها لم تحاول ابدا ان ترسم صورة معينة لذلك الزوج ، يكفي ان يكون رجلا متوسط الدخل ، طيب القلب ، لا يجعل للغيرة او الشك محلا يسمم حياتهما هذا هو كل ما تريده من الحياة ، وهذا ما تعرف تماما انها لن تستطيع ان تحصل عليه يوما .

ان الحزن يملأ نفسها ، انها لتتساءل كثيرا عن حالــة غيرهــا من النساء . ترى هل هن يختلفن عنها في الاستجابة الجنسية مع الرجــال ؟ لقد ادركت بقوة الملاحظة ان الرجال لا يشتهون معظم النساء كما يشتهونها هي . وانما لا تدري لماذا ؟ فان استجابتها الجنسيـــــة ليست دائمة ، وليست عارمة . ولكنها لا تعرف ما هو الحال مع غيرها من النساء ، انهن لا يتحدثن معها في هذه الشؤون ، لانهن لا يأمن لها ولا يشعرن نحوهـــا بالمودة والحب . لقد حدث ان تعرفت بطبيـــب شاب ، فلمــا سألته عــن الفارق بينها وبين غيرها من النساء قال : « انني لا ادري تماما ، ولكنك تملئين الجو حول الرجل بالقوة والحياة ، والحمد لله ان الدنيا لا تخلو من مثيلاتك ، والا لفقد الرجال عقولهم ؟ » .

وتعلمت الكتابة على الآلة الكاتبة ، ولكنها لم تستطـــع الاستمرار في اي عمل اكثر من اسبوع او اسبوعين ، اذ كـــان الرؤساء والمرؤسون يتصارعون للفوز بها ، وهكذا ينتهي بها الامر الى الفرار .

واخيرا استطاعت أن تجد اعمالا موسمية في الفرق الاستعراضية التي تقدم في نهاية البرامج الترفيهية مجموعة من الفتيات اللاتي يخلعن ملابسهن قطعة قطعة ويقفن على المسرح عاريات تماما بين دوي التصفيق والهتاف والصفير من جمهور اكثر من نصفه عجائز . وقد رات ان خلعها الملابس على المسرح مقابل اجر طيب كل ليلة ، افضل لها من خلعها هذه الملابس نفسها ، راضية او كارهة ، في غرفة رجل قد يكون عربيدا او مجرما .

وقد اثبتت لها التجارب ان الشبان هم اخر من يصلحون للحيــاة معها . لقد حاولت ان تعيش بصفة مستمرة في رعاية الواحد منهم بعد الاخر ، فاذا هم جميعا ينقلبون الى وحوش صغيرة قاسية لا ترحم ولهذا

رأت ان الرجل الكهل الثري هو خير من يهيىء لها حياة مستقرة وقد عاهدت نفسها ، اذا عثرت عليه ، ان تكون وفية له ، وان تعوضه احسن تعويض نظير ما سينفقه عليها من مال ووقت .

وافاقت الفتاة من افكارها على صوت لوي ، وهو يقول لها بتردد :

— ارى انك ذاهبة الى لوس انجلوس ، فهل تقيمين بهذه المدينة ؟

— بعض الوقت .

— انني احاول ان استنتج بعض الحقائق عن الركاب ، فان رجلا مثلي يرى في حياته الكثير من الشخصيات المختلفة .

ودار محرك السيارة ، ورأى لوي في المرآة ان المرأة العجوز تحملق فيه بغيظ ، فهز كتفيه وقال لنفسه : « لتفعل ما تشاء » ، ثم القى نظرة اخيرة على بقية الركاب . فرأى الراكب الصيني واضعا الصحيفتين على ركبتيه ومنهمكا في قراءتهما في وقت واحد .

وانسابت السيارة متحركة من امام الاستراحة ، وانحرفت يسارا الى الممر المؤدي الى الشارع الرئيسي بمدينة سان سيدرو . وتوقف لوي بالسيارة برهة قبل ان يعبر الشارع الى الجانب الايمن منه ، ثم انطلق بها الى ضواحي المدينة ومنها الى الطريق الزراعي العام .

وعاد لوي ينظر الى صورة الفتاة في المرآة ، ويحاول ان يسجل في ذهنه كل لمحة من لمحات جمالها الآسر ، وفجأة رآها تبتسم له ، فغص بريقه ، واحس كأن شيئا ما يضغط على صدره ويمتصر قلبه ، وان عقله يوشك ان يطير من راسه . ولكنه تمالك نفسه وقال : « عجبا لي ؟ انني احس كأني تلميذ مراهق يرى فتاة جميلة ، لاول مرة ، كيف اوشك ان افقد عقلي امام فتاة من بنات الهوى كهذه » . وفي تلك اللحظة لمح على كل جانب من جانبي جبينها ، تحت خصلات الشعر الذهبي ، آثار الكي بالنار ، انها الآثار التي يدمغ بها مكتب الاداب كل فتاة تحترف الدعارة .

واحس لوي بالارتياح عندما رأى آثار هذا الكي . وادرك انها لن تظل هكذا متكبرة مزهوة بجمالها لو عرفت انه رأى هذه الآثار التي تحاول جاهدة ان تخفيها تحت خصلات شعرها .

وتذكر لوي ان المسافة الى ريبلز كورنر لا تزيد عن اربعين ميلا ، وان السيارة لن تستغرق في قطعها اكثر من ثلثي ساعة . ومعنى هذا ان عليه — اذا اراد ان يتصرف بالفتاة — الا يضيع لحظة واحدة .

وتمتم ببضع كلمات في صوت مضطرب ، وانحنت الفتـــاة نحوه ، وقالت :

ـــ انني لم اسمعك .

فتنحنح وقال :

ـــ كنت اقول ان المزارع تبدو جميلة ناضرة بعد المطر .

ـــ نعم ، هذا صحيح .

ورأى أن يعود الى حديثه الاول ، فقال وهو يلاحظ انهـــا لا تزال منحنية نحوه :

ـــ انني احاول كما ذكرت ان استنتج بعض الحقائق عن الشخصيات التي تركب معي ، واستطيع أن اقول عنك انك تعملين اما في المسرح او في السينمـــا .

فقالت الفتـــاة :

ـــ لا ، لقد اخطأت الاستنتـــاج .

ـــ اذن في الفرق الاستعراضية ؟

ـــ لا .

ـــ حسنا ! هل تعملين في احد المكاتب ؟

فضحكت الفتاة ، وازداد وجهها جاذبية وهي تضحك ، وكانت في الوقت نفسه تدرك الغرض من هذا الحديث ، انه يريد ان يستدرجهـــا ليعرف منها رقم تليفونها او عنوان مسكنهـــا . فهكذا الامر دائما . ولكن لا باس ، انه لن يستطيع ان يعرف شيئا ، لانها كانت ذاهبة الى لوس انجلوس لتبحث عن عمل ، وهذا يعني انها ستعيش فترة ما بلا مسكن وبلا رقم تليفون .

وانحنت نحوه وقالت :

ـــ اسمع ، لسوف اوفر عليك الوقت والجهد ، انني كنت اعمـــل ممرضة في عيادة طبيب اسنان .

ولم تدر لماذا قالت له هذا ، لعلها كانت تعرف بخبرتها ان الناس عادة لا يحبون ان يكثروا الحديث عن العمل في عيادات طب الاسنان .

وفكر لوي برهة ، ثم قال وهو يخفف من سرعة السيارة بعض الشيء ليكسب مزيدا من الوقت :

ـــ انني اذهب احيانا الى لوس انجلوس ، فهل ثمة مكان معين استطيع ان التقي بك فيه لنذهب الى السينما او الى مطعم للعشاء .

فابتسمت في رفق وقالت :

ـ اني الان بلا مسكن ، وربما مرت بضعة ايام قبل ان استقر في مسكن خاص .

ـ ولكنك تعملين في مكـــان ما ، الا يمكن ان ازورك في محــل عملـــك ؟

وكانت المراة العجوز تتلوى وتتململ في مقعدها من فرط السخط لان لوي منعها من الجلوس في المقعد الامامي . اما الفتاة فقالت :

ـ لا ، انني بلا عمل في الوقت الحاضر ، ولكنني سوف اجــد عملا بسرعة عند وصولي الى لوس انجلوس ، فأنت تعرف ان هناك ازمة في الممرضات المدربات .

ـ هل افهم من هذا انك تريدين التخلص مني ؟

ـ لا ، ابـــدا .

ـ حسنا ، لعلك لن تبخلي علي يوما برسالة قصيرة تخبرينني فيها بمحل اقامتك او رقم تليفونك .

ـ سأحاول ان افعل .

ـ انني في الواقع اريد ان اتعـــرف بفتاة جميلة مثلك في لـــوس انجلوس لاصحبها الى دور السينما والمسرح .

وهنا انفجرت المراة العجوز قائلة لجميـــع الركـــاب بصوت مرتفـــع كله الغضب :

ـ ان القانون الرسمي يمنع السائق من التحـــدث مع الركاب ، ويحسن بك يا هذا أن تركز اهتمامك في قيادة السيارة ولا تعرض حياتنا للخطر . امــــا اذا تماديت في هذا ، فاني سأطلب منـــك التوقف لكـــي اهبـــط .

واطبق لوي شفتيه فورا . اذ كان يعرف ان للعجوز الحق هذه المرة فيتوجيه اللوم اليه ، بل ان في مقدورها اذا شاءت ان تحرج مركزه مع ادارة الشركة . ونظر في المرآة ، فرأى الفتاة تبادله النظرات في صمت ، واخيرا حرك شفتيـــه قائلا بصوت هامس : « اللعنـــة على تلك الحيزبون المجفـــاء » .

وفهمت الفتاة كلماته الصامتة ، فابتسمت ، ووضعت اصبعها على فمها وهي تحس في وقت واحد بالراحة والاسف ، الراحة لان تدخل العجوز في الحديث جاء في الوقت المناسب ، اي قبل ان يتمادى لوي في حديثه معها

ويثير الاضطراب حولها ، والاسف لانه كان في رايها شابا لطيفا لا ترفض اية فتاة من طبقتها أن تنشيء معه علاقة موقوتة او دائمة .

وادرك لوي بدوره من موقف الفتاة انها لا تريد اثارة المشكلات . وكانت السيارة تقترب بسرعة من ريبلز كورنر ، والوقت من ثم يطير ، فماذا تراه يفعل ليظفر منها بوعد قاطع على اللقاء قبل ان تهبط من السيارة وتختفي من حياته ؟

ووصلت السيارة الى ريبلز كونر قبل ان يصل هو الى حل لهذه المشكلة .

وقال جون شيكو وهو يستقبله :

ــ ها يا لوي ، هل جئت لي معك بصندوق الفطائر ؟

ــ نعم ، وكلها سليمة .

ــ وماذا ايضا ؟

ــ وراكبة واحدة .

ونهض لوي من مقعده ، وحمل حقيبة الفتاة ، وهبط من السيارة ، ثم مد يده وساعد الفتاة على الهبوط ، ثم سار معها نحو قاعة الطعام حيث قالت له عند مدخلها :

ــ وداعا وشكرا .

ــ وداعا !

وراح يتأملها وهي تغيب في داخل القاعة .

وعاد الى مكانه من مقعد القيادة ، بينما كان جون وبمبلز قد هبطا بصندوق الفطائر ، فقال لهما لوي :

ــ الى اللقاء .

وتحركت المراة العجوز الى المقعد الامامي القريب منه ، وجلست عليه .

واغلق لوي باب السيارة في عنف ثم ادار محركها ، وانطلق بها وهو ينظر الى المرآة امامه . فلما رأى وجه العجوز المشرق بالانتصار عليه قال لنفسه :

ــ لقد ضيعت مني فرصة العمر ايتها اللعينة الحيزبون .

ولما تلاقت نظراته بنظراتها عن طريق المرآة ، عاد يحرك شفتيه قائلا :

ـــ اللعنة عليك يا اخت الابالسة .
وشحب وجه المراة وزمت شفتيها .
وابتسم لوي وقد ادرك انها فهمت كلماته .
وظلت السيارة في انطلاقها على الطريق الزراعي .

الفصل السابع

الكل مضطرب

حمل جون وبمبلز صندوق الفطائر الى باب قاعة الطعام حيث وضعاه برهة على الارض ، وراحا يرقبان الفتاة الشقراء وهي تدخل الى القاعة . وصفر بمبلز بشفتيه صفيرا خافتا وقد تصبب العرق من راحتيه ، بينما ركز جون نظراته برهه على ظهر الفتاة وساقيها ، ثم ابتسم قائلا لبمبلز :

ــ انا اعرف ما سوف تقوله لي الان يا كيت . واراهن عليه !

فنظر بمبلز اليه مدهوشا ، وقال في ارتباك :

ــ على اي شيء ؟

ــ على انه قد خطر لك الان انك لم تظفر باجازة منذ اسبوعين ، وانه قد آن لك ان تنال اليوم اجازة ، وان تسافر معنا الى مدينة سان جوان دي لاكروز ولعلك تتمنى في قرارة نفسك ان تتعطل السيارة في الطريق لتبقى بجانب هذه الشقراء اطول فترة ممكنة !

واضطرم وجه بمبلز وبدأ الارتباك عليه برهة ، ولكنه اطمأن حين راى ابتسامة جون ، ثم قال :

ــ صدقت ؟ انك رجل موفور الذكاء ، طيب القلب !

ــ ولكن من الذي سيتولى امر محطة البنزين واصلاح العجلات المثقوبة
ــ ومن الذي كان يقوم بهذا العمل قبل ان اعمل معكم ؟
ــ لا احد ، وقد تعودنا في هذه الاحوال ان نضع لافته صغيرة على باب الكراج مكتوبا عليها «مغلق لاسباب قاهرة» .

ثم ضرب على كتف بمبلز ، وقال :

ــ اما اليس ففي مقدورها أن تزود السيارات بما يلزمها من وقود .

وقال بمبلز لنفسه :

« يا له من رجل طيب حقا » .

وعاد جون يقول :

ــ والان ، عليك ان تنقل هذه الفطائر في حذر الى قاعة الطعام .

وحمل بمبلز فطيرتين برفق ومضى بهما الى قاعة الطعام ليسلمهما للمسز شيكو ، وكانت الفاتنة الشقراء جالسة على مائدة الخدمة تشرب قدحا من القهوه ، ورغم ان الفتى لم ير وجهها ، الا انه احس بالجو «المكهرب» الذي اشاعته في القاعة .

لقد كان المستر بريكارد والعجوز فان برانت ، والشاب ارنست هورتون في حالة قريبة من الذهول ، وهم يسرحون اعينهم على محاسن الشقراء الفاتنة ، ثم يغضون بأبصارهم لكي يعيدوا النظر وهكذا ، وكأنما اصابهم مس من الجنون .

ولم تكن اليس عند مائدة الخدمة ، وانما كانت نورما هي التي تقوم بالعمل في تلك اللحظة ، وكانت تسأل الشقراء قائله :

ــ اتحبين ان اقدم لك قطعة من الفطير الطازج ؟

وتوقف بمبلز برهة ليسمع صوت الفاتنة الشقراء التي قالت :

ــ نعم اذا سمحت .

واحس بمبلز بألم في امعائه وهو يسمع صوت الفتاة الممتلىء بالجاذبية الجنسية وعاد الى الخارج ليأتي بمزيد من الفطائر ، وهناك قال جون :

ــ لا تتلكأ عند تلك الشقراء ، لسوف تشبع عينيك منها طيلة المسافة الى مدينة سان جوان الا اذا كنت تنوي ان تقود السيارة .

وأومأ بمبلز برأسه ، وحمل الخمسين فطيرة الى قاعة الطعام ، ثم ساعد جون في حمل صندوق اخر من الفطائر كان فيطريقه الى سان جوان عندما اراد وضعه في المخزن الداخليللسيارة الحافلة « سوتيهارت » .

وكانت هذه قد اصبحت معدة للسفر ، ومن ثم وقف جون على مسافة خطوات منها وراح يتأملها باعجاب . حقا انها ليست في قوة وجمال سيارات شركة الكريهاوند ، الا انها لا بأس في ذاتها .

وقال بمبلز :

— هلم نستعد للرحيل . اغلق باب الكراج ، وضع لافتة الغلق عليه ، واسرع بتغيير ملابسك اذا اردت ان تكون معنا .

وانطلق بمبلز ليقوم بهذه الاعمال ، بينما نفض جون ملابسه ، ومضى الى قاعة الطعام حيث رأى المستر بريكارد جالسا وقد وضع ساقه اليمنى على اليسرى وراح يحرك اصبع قدمه الكبيرة في حركات عصبية تشنجية وكان المستر بريكارد قد لمح وجه الفاتنة الشقراء وهي تدخل القاعة ، واحس بدبيب النشوة والانفعال يسري في اعماق نفسه ، الا انه عقد جبينه برهه مفكرا ، لقد خيل اليه انه رأى هذه الفتاة من قبل ، ربما في مكتب صديق له ، او ربما في مكان اخر ، ولكن المؤكد انه رآها من قبل . اما اين ومتى فهو لا يعرف !

وكانت زوجته تنظر خلسة الى حركات قدم زوجها ، اما ارنست هورتون فكان يحملق دون حياء الى ساقي الفاتنة الشقراء ، وشعرت نورما بالميل الى الفتاة الحسناء ، لانها لم تكن تغار منها في شيء او تخاف منها على شيء . ثم انها تجد هذه الفتاة لطيفة في تصرفاتها وفي حديثها ، ويبدو ان الشعور كان متبادلا بين الاثنتين ، لان الشقراء الفاتنة احست بالميل المفاجيء الى هذه الفتاة الوادعة التى ينم وجهها عن الطفولة والبساطة

وكانت اليس قد قالت لنورما قبل وصول سيارة شركة الكريهاوند بلحظات :

— ارجو ان تقومي على الخدمة هنا ريثما اعود ، ولن اغيب كثيرا :

ثم اقبلت السيارة ، وشغلت نورما بتقديم القهوة والحلوى للشقراء الفاتنة ، ولكنها الان قد تذكرت . تذكرت اليس وادركت المعنى المنطوي وراء غيبتها في غرفات النوم . لا شك انها الان تبحث عن الخطاب ، خطابها الذي كتبته لكلارك غيبل . ولعلها عثرت عليه وراحت تقرأ محتوياته بتعريض المظروف لضوء الشمس واستبد الغضب بنورما ، ونظرت الى اكداس الاوراق المالية في درج الخزينة وغصت بريقها . ان جانبا من هذه الاوراق يمكن ان يتيح لها رغد الحياة حتى تحصل على عمل اخر . ولكن لا ، انها ليست من هذا النوع ، ولن تكون يوما منه . واحست بالرغبة

ـية في ترك عملها مع اليس بل اقسمت ان تترك عملها هذا اذا ثبت لها ان اليس انصرفت لتقرأ خطابها الى المستر جيل .

واقبل جون في تلك اللحظة الى قاعة الطعام ، ووقف برهة ينظر الى ظهر الفاتنة الشقراء ، وهنا قالت له نورما :

ــ اتسمح بالوقوف مكاني برهة يا مستر شيكو ؟

فسألها قائلا :

ــ اين اليس ؟

ــ لا ادري !

ولكنها كانت واثقة ان اليس في تلك اللحظة مشغولة بقراءة خطابها على ضوء الشمس ، وفجأة احست برغبة عنيفة في الانطلاق الى اليس ، وفي انشاب اظافرها في وجهها ، وفي اخراج عينيها من مقلتيهما ، والايقاع بها على الارض ثم ضربها ضربا مبرحا .

وقال جون وهو ينظر الى الانفعالات المرتسمة على وجه نورما :

ــ ما بالك يا نورما ؟ هل انت مريضة !

وانطلقت نورما الى غرفة نومها في تسلل وحذر ، وهناك رات اليس فعلا واقفة بجانب النافذة وقد رفعت الخطاب الى ضوء الشمس ، وراحت تبذل جهدها لتقرأ محتوياته .

واحست اليس ان الفتاة واقفة وراءها ، فاستدارت في خجل ، ثم وقفت مندهشة فاغرة الفم مضطربة الوجه وهي تنظر الى نورما التي بدت في تلك اللحظة كأنما تحولت الى فتاة اخرى .

وتقدمت نورما بخطوات ثابتة نحو اليس وقد زمت شفتيها وعضت على نواجزها وركزت عينيها في وجه المراة التي احست بخوف غامض يسري في كيانها ، فمدت يدها بالخطاب الى نورما ، فأخذته هذه بهدوء ملحوظ ووضعته في صدرها ، ثم تناولت مفتاح حقيبة السفر وفتحتها وراحت تجمع فيها كل حاجياتها دون ان تلفظ بكلمة .

وتسمرت اليس في مكانها وهي ترقب نورما ، فلما تأكدت ان الفتاة تنوي الرحيل فعلا قالت لها :

ــ هل سترحلين اليوم فورا ؟

ولم تجب نورما ، وانما قررت ان تحتفظ بموقفها النبيل ، ولا تسمح لاحد بأن يرغمها على اتخاذ خطوات مخالفة لما قررته .

وعادت اليس تقول في لهجة اعتذار :

— انني لم اقصد ابدا ان اسيء اليك .

ولم تقل نورما شيئا ، بل ولم ترفع عينيهـــا الى اليس التي اردفت قائلة في صوت ينم عن القلق :

— يحسن الا تخبري احدا بما حدث والا اتهمتك بالسرقة .

ومرة ثانية لم تجب نورما ، وانما مضت الى معطفها الاسود المزين بفراء ارنب ، فحملته على ذراعها ، وتناولت حقيبتها التي كانت تضم كل ما لديها في الدنيا ، ثم خرجت من الغرفة ومضت بهدوء الى آلة النقد وتناولت منها بقية حسابها ، وكان المبلغ لا يزيد على احد عشر دولارا وبضعـــة سنتات . فلما وضعت المال في جيب معطفها الاسود ، نظر جون الى وجهها الصارم وقال مندهشا :

— ما معنى هذا ؟ ماذا حدث ؟

فقالت نورما :

— انني راحلة معك الى مدينة سان جوان .

— ان عليك ان تبقي لمساعدة اليس ، فليس من المعقول ان تظل هنا بمفردها .

— هذا ليس من شاني ، لقد تركت الخدمة .

ولاحظت نورما ان الفاتنة الشقراء تراقبها ، وهي تنصرف من القاعة الى السيارة . اما جون فقد هز كتفيه وتمتم قائلا :

— ما معنى هذا ؟

وسمعه ارنست هورتون الذي كان متجهم الوجه ، اذ كان في الواقـــع يكره اليس ، ولكنه لم يعبر عن كراهيته هذه بالالفاظ ، وانما قال ببرود :

— متى سنبدأ الرحيل ؟

— في العاشرة والنصف تماما . اي بعد عشرين دقيقـــة ، وســـوف امضي الان لاغير ملابسي ، فاذا اراد احدكم ان يشرب قدح قهوة ، فمـــا عليه الا ان ياتي ويأخذه بنفسه ، وها هو ذا الابريق المليء بالقهوة .

ومضى الى غرفة النوم حيث خلع ملابسه الخارجية ، وانثنى الى الحمام ليغتسل ، وعندئذ رأى زوجته خارجة منه ، فقال لها :

ماذا حدث يبدو ان اعصابك انهارت تماما !

انني اعاني من وجع اسنان رهيب ، ولا يزال الوجع مستمرا

— ولكن ماذا حدث من نورما ؟

— دعها وشأنها . لقد كنت اعلم اني سأفضح امرها يوما .

ـ ماذا فعلت ؟

ـ انها خفيفة اليد .

ـ وماذا اخذت ؟

ـ اتذكر زجاجة عطر البللودجيا التي اهديتها الي في عيد راس السنة الماضية . لقد اختفت منذ اسبوع ، ثم عثرت عليها اليوم في حقيبة ملابسها ولما جاءت وعرفت الحقيقة قررت ترك الخدمة .

واغمض جون عينيه برهة . لقد كان يعرف ان اليس كاذبة ، ولكنه لم يهتم كثيرا ، لانه آلى على نفسه الا يتدخل فيما بينها وبين العاملات اللاتي تستخدمهن لمساعدتها .

ومضى الى الحوض ، وهو يقول :

ـ ان اعصابك تالفة اليوم يا اليس ، اقترح عليك ان تغلقي ابواب المطعم بعد رحيلنا ، وان تشربي حتى تفقدي وعيك من السكر .

فابتهجت اليس وقالت :

ـ وهل سيمضي بمبلز معكم ؟

ـ نعم .

وأزداد احساسها بالبهجة ، لقد كانت تهفو الى مثل هذا اليوم الذي تقضيه بمفردها تماما ، بلا زبائن ، وبلا عمال او عاملات ، وبلا خوف من زوجها ، وبلا اي هموم او متاعب .

وكان ارنست هورتون قد اقترب في تلك اللحظات من الفاتنة الشقراء ثم قال لها بعد ان حياها :

ـ اتقبلين أن اقدم لك قدحا من القهوة وبعض الشطائر ؟

فابتسمت وقالت :

ـ اوه ، شكرا . يكفي قدحا من القهوة ؟

وقال مقدما نفسه :

ـ اني ارنست هورتون ، مندوب احدى شركات العاب التسلية

فردت عليه قائلة ببساطة .

ـ وانا كامليا أوكس ، ممرضة سابقة بعيادة طب الاسنان .

ولم يكن هذا اسمها في الواقع ، ولكنه ورد على لسانها عفوا ، فقررت أن تظل « كامليا اوكس » طيلة الرحلة الى لوس انجلوس على الاقل

وقال ارنست وهو يقدم اليها اناء السكر :

ــ يبدو لي ان سمعت هذا الاسم منذ عهد قريب .

وكان المستر بريكارد لا يزال مشغولا بتحريك طرف قدمه حركـات اختلاجية عصبية ، وكانت زوجته برنيس لا تزال تختلس النظر الى هذه الحركات وقد ادركت أن زوجها مشغول الفكر بشيء مهم .

وفجأة نهض واقفا ومضى الى مائدة الخدمة وقال لارنست :

ــ لعلك تقصد أنك سمعت عن « جريمة اوكس » حسنا ، انني واثق ان هذه الشابة الحسناء لا علاقة لها بمثل هذا النوع من الجرائم .

ثم ضحك واردف قائلا لاليس :

ــ مزيدا من القهوة ، ارجوك .

واختلست ابنته ميلدرد النظر اليه وقد ادهشها هذا التغيير المفاجيء الذي طرأ على ابيها ، لقد كان منذ لحظات يتحدث بجفاف ، ويبدو شديد الضيق والقلق ولكنه الان لطيف الحديث ، جميل الصوت ، باسم الوجه متألق النظرات !

وعادت ميلدرد تحملق في هذه الشقراء وقد ادركت ان اباها ارتد الى الشباب بسبب وجود هذه الفتاة في القاعة .

وقال المستر بريكارد الى الفاتنة الشقراء :

ــ انني واثق اني رأيتك من قبل !

ونظرت كاميليا الى شارة النادي المثبتة في ياقة سترته ، ثم ادركت انه راها في احدى الحفلات الترفيهية التي يقيمها النادي لاعضائه العجائز بين الحين والاخر . وكانت ادارة النادي تحرص على استحضار الفـرق الاستعراضية التي تعرض ممثلاتها عارية تماما على المسرح . وقد كانـت كاميليا واحدة من هؤلاء الذين احيوا ليلة حمراء من ليالي النادي ولكنهـا بطبيعة الحال لم تر المستر بريكارد ، لانه كان مجرد وجه بين مئات الوجوه المتراصة امام المسرح او مجرد عينين بين مئات العيـون المحملقة في جسدها العاري تحت الاضواء الخافتة .

وأجابت عليه قائلة :

ــ ربما رأيتني في مكان ما ، ولكنني لا اذكر اني تشرفت برؤيتك قبل اليوم .

فالح المستر بريكارد في السؤال قائلا :

ــ الم تكوني يوما ما في الوسط الغربي ؟

ــ كنت اعمل في مدينة شيكاغو !

ـ ايـن ؟
ـ في عيادة لطب الاسنان .
فتالقت عينا المستر بريكارد وقال :
ـ أراهن انها عيادة صديقي الدكتور هوراس ليفولز . لقـد كنت اتردد عليها كثيرا .
ـ لا انني لم اعمل يوما مع الدكتور هوراس .
واصر المستر بريكارد على مواصلة الحديث مع الفاتنة قائلا :
ـ لسوف اتذكر اين رأيتك ان عاجلا ام آجلا .
ولمح بريكارد امارات الاشمئزاز من موقفه في عيني ابنته ، وكانـت زوجته قد لمحت نفس هذه الامارات في ذات الوقت ، فقالت له :
ـ اليوت ، هل تسمح وتأتيني بقدح قهوة ؟
وبدا كأن المستر بريكارد ينتفض عائدا الى ارض الحقائق ، فقـال بصوته العادي الجاف :
ـ آه، نعم ، طبعا .
وهنا فتح باب المطعم بقوة ، وانصفق بقوة ودخل بمبلز كارسون وقد تغير سمته تماما ، فبعد ان كـان مرتديا ثياب العمل الملوثة بالشحم والزيوت ، وبعد ان كان وجهه لا يكاد يبين تحت لطع هذه الشحوم نفسها ، اذا به يدخل نظيفا ، انيقا لا يعيبه الا بثور « حـب الشباب » المنتشر في كل وجهه .
ونظرت اليس في دهشة ثم قالت للحاضرين :
ـ آه ، انظروا الى هذا الكرنفال المتجول !
وازداد شعور بمبلز بكراهيتها ، ولكنه قرر ان يتجاهل تعريضها به وجلس على المقعد الذي تركه المستر بريكارد ليتقدم بالقهوة الى زوجته ، ثم قال :
ـ اريد قطعة من فطير الزبيب الجديد .
ثم التفت في اضطراب نحو الفاتنة الشقراء ، واردف قائلا :
ـ ينبغي يا آنسه ان تتناولي قطعة من هذا الفطير ، انه رائع .
ونظرت كاميليا اليه ، واحست بالعطف عليه لانها ادركت ما كـان يجيش في صدره عندئذ من عواطف المراهقه . ومن ثم قالت برفق :
ـ لا ، شكرا لقد تناولت الافطار في سان سيدرو .
ـ لسوف ادفع لك ثمنها !

أوه ، شكرا ، لا استطيع .

وقالت اليس ساخرة :

ـ ولكنه هو يستطيع ، يستطيع ، وهو واقف على رأسه ، ان يأكل شريطا من الكعك والفطائر يمتد من هنا الى شيكاغو .

لما اعدت الفطيرة لتقتطع منها ، قال لها بمبلز ببساطة :

ـ اجعليها قطعتين من فضلك .

فقالت اليس بقسوة :

ـ اعتقد انك لن تقبض مليما واحدا في الاسبوع التالي ، لانك اكلت بكل أجرك فطائر وحلوى .

وجفل بمبلز متوجعا .. آه ، لشدة ما يكره هذه المرأة ! ولكن هذه المرأة اليس ، كانت مشغولة بالنظر عنه الى الفاتنة الشقراء ، وتأمل جمالها الصارخ . وكانت في تلك اللحظة قد ادركت حقيقة الجو السائد في غرفة الطعام . ادركت ان عواطف الرجال جميعا كانت متجه كلها نحو واحد كأنما هي مشدودة اليه بقوة مغناطيسية . وازدادت اعصابها توترا وهي تفكر في تأثير هذه الفاتنة على جون . لسوف تعرف مدى هذا التأثير عندما يدخل القاعة . وكانت قبل لحظات تتمنى ان ترحل السيارة بالركاب حتى بنفسها وتشرب الى ان تفقد وعيها ، اما الان فانها قد بدأت تتردد وتضطرب وترجو ان يحدث اي شيء يمنع سفر هذه الفتنة المتحركة مع زوجها في سيارة واحدة .

وقال ارنست هورتون :

ـ ان لدي حقيبة مليئة بعينات من العاب التسلية ، ويمكنني ان اعرض عليك بعض هذه الالعاب الحديثة جدا والتي لا تخطر على البال

ونظرت كاميليا الى الشارة الموضوعة في ياقة سترته وادركت منها انه من الذين قاموا بأعمال بطولية في الحرب الاخيرة .

وقالت الفتاة بصوت هادىء لارنست :

ـ كم مضى عليك من الوقت منذ تركت الخدمة العسكرية ؟

ـ خمسة أشهر .

فعادت تتأمل الشارة ثم قالت :

ـ انها شارة وسام التقدير من الدرجة الاولى . اليس كذلك ؟

ـ هكذا يقولون ، ولكنه لا يصلح لشراء اقة من الفاكهه .

وضحك الاثنان . وقالت كاميليا :

ــ هل ثبته الرئيس الكبير بنفسه على صدرك ؟
ــ اجل .
وانحنى المستر بريكارد ليلتقط بعض الحديث ، حتى يستطيع الاشتراك فيه ، هذا بينما كان بمبلز يقول لكاميليا بالحاح :
ــ أؤكد لك ان فطيرة الزبيب هذه لا مثيل لها ، تناولي قطعة منها .
ــ لا ، لا استطيع .
وقالت اليس لبمبلز :
ــ اذا وجدت ذبابة اخرى في قطعتك هذه ، فسوف اعطيك بقية الفطيرة كلها فورا .
وادركت كاميليا باحساسها الذي قلما يخطىء في مثل هذه الحالات ، ان هذه المراة تكرهها . ومن ثم نظرت الى المراتين الاخرتين في الغرفة ، ولم تلبث ان ادركت ان المسز بريكارد سيدة لا تكره اية فتاة او امراة اجمل منها ، اما الفتاة ميلدرد ، التي تحاول ان تبقى بلا نظارة على عينيها ، فقد رات انها خطيرة ، وتمنت الا تصطدم بها لاي سبب . وعادت تنظر الى المستر بريكارد وقد رات انه نموذج الكهل الثري الذي تتمنى ان تعيش معه في حياة متبادلة المنفعة ، هو بماله يضمن لها الاستقرار في الحياة وهي بجمالها تملأ عليه حياته .
وفي تلك اللحظة اقبل جون من غرفة النوم وقد ارتدى ملابسه النظيفة ، ومشط شعره الاسود الغزير الى الوراء ، وبدا وجهه لامعا مشرقا بعد ان اجاد حلاقته ، وقال الرجل بصوته الرنان :
ــ هل انتم مستعدون جميعا للسفر ايها السادة ؟
وراقبته اليس بامعان وهو يتقدم الى قاعة الطعام ، فلاحظت انه لا يلتفت الى الفاتنة الشقراء ، ومن ثم ادركت ان الامر سيكون خطيرا ، اذ كانت تعلم ان تجنبه اليها لا يعني انه لا يهتم بأمرها ، وانما العكس هو الصحيح .
واقبل العجوز المستر فان برانت ذو العنق المتصلبة ، وقال :
ــ يبدو ان المطر سينهمر مرة اخرى .
فقال له جون باقتضاب :
ــ انك ستركب سيارة الجريهاوند التالية .
ــ لقد غيرت رايي وسوف امضي معكم ، لاني اريد ان ارى المعبر .
وبهذه المناسبة ، لماذا لم تستعلم عن حالة المعبر مرة اخرى .

ـ لقد استعلمت مرة وهذا يكفي .

ـ لا ، هذا لا يكفي اطلاقا . انك هنا اجنبي ، اي لا تعرف كيف ترتفع المياه بسرعة في نهر سان سيدرو . لقد رأيت المياه بنفسي ترتفع بمعدل قدم في الساعة عندما تنهمر عليه السيول من الجبال .

فقال جون في ضيق شديد :

ـ اسمع ، انني انا الذي اقود السيارة وانا الذي اقدر الموقف على حقيقته ، وان لك مطلق الحرية في ان تمضي هنا او تتخلف عنا .

فتلفت فان برانت حوله ثم قال :

ـ انني لا ادري ، ولكنني قد اقدم شكوى الى مدير المواصلات هنا وما انت الا سائق سيارة عامة ، فلا تنس هذه الحقيقة .

فقال جون :

ـ هلم أيها السادة الى السيارة .

ومرة اخرى لاحظت اليس ان زوجها لا يلتفت بنظراته الى كاميليا مما يدل ، في رأيها ، على انه ملتفت اليها بكل عواطفه .

أما كاميليا فقد تناولت حقيبة سفرها ، واسرعت خارجة الى السيارة دون ان تنتظر احدا من الرجال ، وكانت تشعر بالضجر منهم ، كما ادركت ان الفتاة ميلدرد لا تحمل لها اي عطف ومودة ، ولكن الفتاة الاخرى نورما ، رأت انه من الممكن اكتساب مودتها بكل بساطة .

وقالت كاميليا لنورما وهي تضع حقيبتها بالقرب من مقعدها :

ـ الديك مانع في ان اجلس بجانبك ؟

فالتفتت نورما نحوها ببرود وقالت :

ـ يمكنك ان تجلسي حيث تشائين ، فانني لا امتلك هذه السيارة .

ـ لكنني ارجو ان اجلس بجانبك ، وسوف اخبرك لماذا فيما بعد .

فهزت نورما كتفيها ، وأفسحت لكاميليا مكانا بجانبها ، ثم قالت لها بعد برهة صمت :

ـ الى اين ستمضين ؟

ـ الى لوس انجلوس .

ـ أوه ، عجبا ، أنني ذاهبة اليها ايضا . هل تقيمين هناك ؟

ـ احيانا واحيانا .

وكان الرجال قد صعدوا الى السيارة وراحوا يتنافسون ـ خلسة ـ للجلوس في المقاعد القريبة من كاميليا ، وكان جون قد تلكأ قليلا في قاعة

الطعام حيث اخذ يتبادل الحديث مع اليس قائلا :

ـ اطمئني وهدئي أعصابك ، وحاولي ان تعودي الى حالتك الطبيعية قبل ان اعود اليك . والا فسوف يأتي اليوم الذي لا أعود فيه اليك .

وصعد جون الى مقعد السيارة حيث وجد ، لسخطه الشديــد ، ان العجوز فان برانت قد احتل اقرب المقاعد اليه هو ، بينمـا جلس المستر بريكارد في مقعد أمامي ، وكان الرجل الثري يريد في الواقع ان يجلس وراء كاميليا على اليمين حيث يستطيع ان يراها ويتحدث ويتبادل الحديث معها طوال الرحلة ، ولكن المسز بريكارد اختارت لجلوسها ذلك المقعد الامامي ، فلم يسع زوجها الا الجلوس بجانبها .

اما الراكب المحظوظ الذي جلس في اقرب مقعد الى كاميليا فكان الفتى بمبلز ، وكان ارنست هورتون هو الجالس بجانبه .

وجلست ميلدرد بمفردها على المقعد التالي لمقعد والديها .

وجلس جون وهو موتر الاعصاب يتساءل في نفسه : لماذا أبقى مع اليس ؟ لماذا استطاعت هي ان تقتنصني كل هذه السنوات ؟ لقد تزوجت قبلها أكثر من ست زيجات ، ولم تكن الواحدة تعيش معي اكثر من عامين او ثلاثة ، أما اليس فقد اوشكت ان تتم العام العاشر مــن حياتها معي ! فلماذا ؟

وراح جون يستعرض الاسباب ، فرأى انه قد بلغ تلك السن التي يحب الرجل فيها الاستقرار في حياته ، وانه ايقن ان اليس مخلصة في حبها له ، ولا تعيش الا لارضائه ، وهي وحدها ميزة قلما يجدها في امرأة اخرى

والتفت الى اليس الواقفة في الباب ، وابتسم لها ملوحاً بيده ، ثـم ادار المحرك ، واستعد للرحيل .

وفيما كانت السيارة تنطلق على الطريق المسفلت الناعم ، رفع جون عينيه الى السماء ، ولم يلبث ان ادرك فان برانت كان صادقا في حديثه من ان السماء ستمطر مرة اخرى .

وانحنى العجوز عليه وقال باسما في خبث :

ـ أتعرف من أين تهب الرياح العالية التي تجمع السحب بعضها الى بعض ؟ انها تهب من الجنوب الغربي ، وهذا يعني ان امطارنا تأتي من الجنوب الغربي .

فقال جون ببرود .«ليكن ..»

ـ الا تعتقد اننا سنتعرض للخطر اذا انهمرت الامطار ؟

ــ ان الخطر موجود في كل مكان ، وقد يموت خبير المفرقعـــات في فراشه ، بينما تتحطم عظام العجوز الحذر تحت جرار زراعي .

ــ كيف يمكن هذا ؟

ــ كل شيء محتمل !

ــ انني لا أمتلك في مزرعتي جرارات زراعية على كل حال ، وانما استخدم في حرث الارض أربعة أزواج من اقوى الجياد .

وكان جون يقول له :

« انني أعرف رجلا مات برفسة من جواده »

ولكنه آثر الصمت .

الفصل الثامن

في الطريق

جلس جون في مقعد القيادة يرقب الطريق الممتد أمامه حينا ، ثم ينثني ويرقب الركاب حينا آخر بواسطة المرآة المستطيلة الموضوعة امامه . وكان الطريق مهجورا ، والبراري تمتد على جانبيه الى سفاح التلال البعيدة ، ولم يكن يمر به غير عدد قليل من السيارات التي مرت بجواره آتية من ورائه ، ولم ير واحدة تأتي من ناحية مدينة سان جوان دي لاكروز ، فهل معنى هذا ان المعبر قد انهار ؟

حسنا ، لو ان هذا ما حدث ، لما بقي أمامه الا ان يعود بالركاب جميعا الى مدينة سان سيدرو حيث يتركهم وشأنهم في استراحة شركة الجريهاوند ، وفي صفحة المرآة ، رأى ارنست هورتون قد فتح حقيبة العينات ، وراح يفرج بمبلز على بعض الدمى العجيبة التي تدور وتلف وتطير ثم تختفي ! ولاحظ في الوقت نفسه ان نورما والفتاة الشقراء المدعوة كاميليا مستغرقتان في الحديث ، وقد مالت كل منهما برأسها نحو الاخرى .

وزاد من سرعة السيارة قليلا .

لقد خطر له انه لن يستطيع أن يفعل شيئا مع هذه الشقراء الفاتنة ،

اذ لم يكن ثمة وسيلة أمامه للوصول اليها . وقد بلغ جون هذه السن التي جعلته يعرف كيف يفرق بين الممكن والمستحيل . ولكنه في الوقت نفسه كان يعرف ان في مقدوره ان يجعل هذا المستحيل ممكنا اذا واتت الفرصة المناسبة .

وكانت نورما باردة متحفظة في موقفها من كاميليا في أول الامر ، ولكن كاميليا كانت في حاجة اليها لتتخذ منها درعا يحميها من السخف أثناء الرحلة كما انها ادركت ان ظروفهما متماثلة ، وان مصيرهما في الحياة واحد .

وقالت نورما بصوت خافت حتى لا يسمعها أرنست هورتون :

— أنني لم اذهب ابدا الى لوس انجلوس أو هوليوود .ولست ادري اين اقيم او ماذا افعل حين اصل الى احداهما ؟

— أليست لديك فكرة معينة تنوين ان تنفذيها ؟

— ان كل ما افكر فيه الان هو البحث عن عمل ، في مطعم ، أو في شيء من هذا القبيل ، ولكنني لن افقد الامل في الظهور على شاشة السينما يوما .

ورفت ابتسامة خفيفة على شفتي كاميليا وهي تقول :

— عليك اولا ان تنجحي في الحصول على عمل بمطعم ، اما التمثيل السنمائي فانه يحتاج الى وقت طويل وجهد بالغ .

— وهل انت ممثلة ؟ انك تبدين كما او كنت ممثلة فعلا .

— لا ، انني اعمل ممرضة بعيادات طب الاسنان .

— وهل تقيمين في فندق ام في شقة مفروشة ام في مسكن خاص ؟

فقالت كاميليا وهي تهز كتفيها :

— ليس لي مكان للاقامة في الوقت الحالي . وقد كان لي مسكن مشترك مع صديقة قبل ان اذهب الى شيكاغو للعمل .

فبدت اللهفة في عيني نورما ، وهي تقول بسرعة :

— انني اذخر بعض المال ، وربما استطيع ان اشترك معك في استئجار مسكن خاص بنا . واذا ظفرت بعمل في مطعم ، فاننا لن نتكلف اكثر من ايجار المسكن ، لاني سأعود من العمل ومعي كثير من الطعام المتبقي .

والتمعت نظرة جائعة في عيني نورما ، وهي تردف قائلة :

— ولا تنسي البقشيش ايضا .

واحست كاميليا بالميل والمودة الى هذه الفتاة الوادعة ، ثم نظرت الى وجهها الخالي من فنون الزينة ، وقالت :

ــ سوف نرى كيف تسير الامور .

وازدادت نورما ميلا نحو كاميليا وقالت : انا اعرف ان لون شعرك الذهبي طبيعي ، ولكنني أتمنى ان تعلميني كيف يمكن تصفيف شعري هذا الشبيه بذيل الفرس ؟

فضحكت كاميليا وقالت :

ــ لاشك انك ستدهشين اذا علمت ماذا كان لون شعري في اول الامر . لكن ، انتظري برهة .

ثم راحت تتأمل وجه الفتاة الوادعة ، وتضع في ذهنها الخطوط الاولية التي يمكنها ان تجمل الفتاة بفنون الزينة وتجعل منها شخصية اخرى وفجأة قالت لها وكأنما خطر ببالها شيء ما :

ــ اتعرفين يا نورما انني اهفو الى الحياة في الريف بين الحين والاخر ؟ انني اعتقد ان البساطة في الحياة هي اجمل ما في الحياة .



ونترك الفتاتين تتناقشان في هذا الموضوع ، ونمضي الى ميلدرد الجالسة بمفردها ، فنراها تختلس النظر حينا الى وجه جون ، وحينا الى وجهها في المرآة ، ثم تكر بالذاكرة الى تلك العاطفة المشبوهه التي ثارت فجأة في أعماق نفسها وجعلتها تتلوى اشتهاء لجون ولهفة عليه .

واستبد بها الغضب فجأة ، وخامرها احساس بالعار رغم ايمانها بأن احدا ما لم يفطن الى تلك العاطفة ، الا اذا كان جون شيكو هو الذي استنتجها بفكرة الثقاب .

ولكن عبارة ما راحت تتردد في صدرها ، بل راحت هي ترددها لنفسها « انها ليست شقراء ، وليست ممرضة ، وليس اسمها كاميليا أوكس كما تزعم »ثم اذا بها تضحك لنفسها وتعود فتقول مفكرة :

« اني احاول ان احطمها ، وهذه بلا شك حماقة ، فهل انا غيرى ؟ لماذا لا اعترف بأنني غيري ! واذا أعترفت فهل سيفيدني الاعتراف بشيء ، لا ، انني لم استفد شيئا ، ولكن هذه اللعينة جعلت من ابي اداة للسخرية وانا لن اغفر لها هذا ، ولكن ما شأني أنا وعواطف أبي الخاصة ؟ هل سأجعل من نفسي رقيبة عليه ؟ انني اريد فقط في مثل هذه الاحوال الا يقول الناس عني انني ابنته . ولكن هذه ليست الحقيقة كلها ، وانما الحقيقة

هي اني اريد الذهاب الى المكسيك بمفردي »
ونعود الى المستر بريكارد فنجده جالسا في شيء من الضجر والشعور بالتعب . والمعروف عنه أنه سريع الغضب عندما يستبد به الشعور بالضجر او التعب . وكان في تلك اللحظة يحاول ان يتغلب على شعوره هذا بقوله لزوجته :
يبدو ان هذه المنطقة زراعية خصبة . والمعروف ان كاليفورنيا تنتج معظم الخضروات التى تستهلكها الولايات المتحدة الامريكية .
اما المسز بريكارد فقد كانت تتصور نفسها في تلك اللحظة وهي جالسة في غرفة الاستقبال بمنزلها تتحدث الى الضيوف قائلة :
« ... وظلت السيارة تنساب بنا اميالا بعد اميال بين المروج الخضراء التي تتخللها الزهور الناضرة ، وكأنها بستان جميل ، وكانت معنا فتاة شقراء جعلت الرجال يرتكبون مختلف الحماقات أمامها حتى عزيزي اليوت وسوف أحاسبه على موقفه هذا بعد اسبوع . أما الفتاة نفسها ، فكانت مسكينة يبدو عليها انها من بنات الليل ، وانها تقيم بمفردها في الحياة ، ولهذا كان شعوري نحوها اقرب الى العطف منه الى أي شيء آخر . وقد زعمت انها ممرضة ، ولكنني اعتقد انها ممثلة ، ممثلة ادوار صغيرة كما هو معروف ، فان في هوليوود آلافا مثلها ، واظن ان عددهن قد بلغ الان ثمانية وثلاثين الفا ، وأسماءهن كلها مسجلة في دفاتر المتعهدين ، وكل منهن تعيش على أمل ان تسمع اجراس مجدها ترن في السماء يوما »
وتميل رأس برنيس على صدرها قليلا وقد شعرت بشيء من الجوع والتعب ، ثم اذا بها تقول لنفسها فجأة :
« ترى ماذا يخبىء لنا القدر من مفاجآت » وعندما كانت المسز بريكارد تستغرق في احلام اليقظة ، كان زوجها يعرف هذه الحقيقةفورا ، ويدرك انها لا تسمع كلمة واحدة مما يقول ، ومع ذلك كان ينتهز هذه الفرصة ليتحدث بصوت مسموع معبرا عما يدور بذهنه من افكار وآراء مختلفة ، وكان يعتبر هذا تدريبا رائعا للحديث في المجالات والاوساط المختلفة دون ان يتلعثم او يضطرب . الا انه في ذات الوقت كان يشعر انهواقع تحت تأثير قوي ضخم يأتي اليه من المقعد الخلفي الذي تجلس عليه هذه الشقراء الفاتنة . ولشدة ما كان يتمنى لو أنه كان جالسا مكان هذا الفتى بمبلز ، ومن ثم يستطيع ان يختلس النظر اليها وهو يتحدث مع أرنست هورتون .
وفجأة افاق من أفكاره حين سمع زوجته تسأله قائلة :

ـــ كم عمرها في رايك ؟
وجفل قليلا حين سمع هذا السؤال الذي كان يدور في ذهنه في الوقت نفسه الا انه تمالك أعصابه وقال :
ـــ عمر من ؟
ـــ هذه الفتاة ، أعني الفتاة الجميلة الشقراء .
فقال في شيء من الخشونة جعلت زوجته تلتفت اليه في دهشة :
ـــ ومن اين لي ان أعرف ؟
ولكنه ادرك انه ليس هناك ما يبرر خشونته ، فأسرع وأردف قائلا بصوت هادىء :
ـــ ان الفتيات الصغيرات مثلك أدرى بالفتيات الصغيرات مثلها ! ولهذا يمكنك ان تقدري عمرها تقديرا ادق من تقديري .
ـــ أوه ، انني لا استطيع لانها تضع على وجهها طبقة كثيفة من مساحيق التجميل ، وكل ما أستطيع ان اقوله هو انها فيما بين الخامسة والعشرين والثلاثين .
فقال المستر بريكارد وهو ينظر من النافذة الى التلال التي كانت السيارة تقترب منها :
ـــ انني لا اعرف ، ولا يهمني كثيرا ان اعرف ، وانما الذي يهمني حقا في هذه الرحلة هو ذلك الشاب ارنست هورتون ، انه شاب موهوب مليء بالافكار الجديدة وبارع في ابتكار مختلف الاساليب العصرية لترويج منتجات الشركات ، والواقع انه اثار اهتمامي حقا ، وافكر الان في ان اجد له عمل بالشركة التي أرأس مجلس ادارتها .
فقالت المسز بريكارد موافقة :
ـــ انه شاب لطيف فعلا ، كما يلوح من سلامة لغته . انه كريم المحتد و ...
فقال بريكارد في تململ وضيق :
ـــ أوه ، ماذا هناك يا برنيس ؟ ما شأن سلامة اللغة وكرم المحتد في أعمالنا ؟ أن الرجل يكرم لقدرته على الانتاج . وهذه هي الديمقراطية الحقة الديمقراطية تقول للرجل «أهم شيء في حياتك هو قدرتك على الانتاج »
وكان بريكارد في تلك اللحظة يحاول ان يتذكر شكل شفتي تلك الفاتنة الشقراء ، وكان يقول لنفسه : « لو ان شفتيها ممتلئتان تماما ، فهذا دليل على انها امرأة ناضجة تعرف كيف تسعد رجلا مثله » .
ثم قال لزوجته بصوت مسموع :

اريد ان اتبادل الحديث قليلا مع المستر هورتون قبل ان نفترق قبل نهاية الخط .

ــ ولماذا لا تتحدث معه الآن ؟

ــ انه جالس بجانب ذلك الشاب الصغير .

ــ ان هذا الشاب لا يضير ، ولاشك سوف يتنازل لك عن مقعده اذا طلبت هذا منه بلطف .

وكانت برنيس واثقة ان للكلمة الطيبة ، العبارة المتلئة بالمجاملة ، فعل السحر في النفوس . وقد اثبتت لها التجارب ان هذه هي الحقيقة .

أما الشاب بمبلز ، موضع المناقشة ، فكان جالسا يختلس النظر الى كاميليا ، ثم يعيش في احلام يقظته النابعة من همسات المراهقة ، ويتصور نفسه راقدا على متكأ من الحرير الناعم ، وكاميليا شبه عارية بين ذراعيه يقبلها ، ويتخلل شعرها بأصابعه ، ويهمس في أذنها بخفقات قلبه .

وكانت كاميليا في تلك اللحظة تقول لنورما :

وكم أتمنى لو كانت للقصر حديقة واسعة مترامية الاطراف ، تتناثر فيها الاشجار الظليلة ، وتكثر في جنباتها اشجار الفاكهة ، ويقع في جانب منها حمام سباحة تحيط به المقاعد تحت المظلات و . . .

وقالت نورما وهي تحس بغصة في حلقها :

ــ أخشى يا كاميليا الا يتحقق لنا مثل هذا الحلم الا في العالم الاخر .

وكان بمبلز يقول لارنست هورتون وقد افاق من أحلام يقظته :

ــ يقولون ان في مقدوري عندما أجند ، ان اتعلم مهنة ما ، وأنا اتلقى الان برامجا بالمراسلة في هندسة الرادار . واعتقد انني استطيع استكماله اثناء الخدمة العسكرية !

ــ انني لا أدري ، فالمعروف ان ادارة الجيش تهتم بمثل هذه لشؤون خلال الحرب ، اما في اوقات السلم . . !

هل خضت غمار معارك حامية يا مستر هورتون ؟

ــ خضتها رغما عني ، وكنت في كل معركة أتمنى لو ان الهدنة اعلنت قبل ان أخوضها .

ــ في أي منطقة كنت ؟

ــ كانت مناطق الحرب كلها متساوية في البشاعة .

ــ لعلي استطيع بعد انتهاء مدة خدمتي ، ان اعمل مندوبا مثلك لاحدى شركات الانتاج .

فهز أرنست هورتون كتفيه ، وقال :

ـ انك عندئذ قد تموت جوعا قبل ان يثبت مركزك وتبلغ جزءا من النجاح الذي تتمناه . لقد استغرقت أنا خمس سنوات لتوطيد مركزي ، واقامة العلاقات القوية بيني وبين المستهلكين ، ثم قامت الحرب وانقطعت هذه العلاقات ، وضاعت كل مجهوداتي التي بذلتها في تلك السنوات الخمس وهأنذاابدا من جديد . وليتني تعلمت مهنة استطيع ان اعيش من دخلها في حياة مستقرة مع زوجة وابناء في بيت لطيف.

وكان ارنست يقول هذا كثيرا ، لاسيما عندما يسرف في الشراب ، ولكن الحقيقة هي انه كان يهوى الترحال والتنقل ولا يطيق البقاء مدة طويلة في مكان واحد . وقد حدث ان تزوج ، ولكنه خرج من المسكن في اليوم التالي بعد الزواج ، ولم يعد حتى راى صورة زوجته منشورة في الصحف عندما قبض عليها بتهمة الزواج من خمسة رجال في وقت واحد !

ثم سأل بمبلز قائلا :

ـ لماذا لا تعود الى المدرسة ؟ فانك لا زلت في سن التلمذة .

فقال بمبلز :

ـ انني لا اريد ان احشو راسي بالعلوم النظرية ، واني اعتقد ان طلبة الجامعات النظرية مجرد مجموعة من ذوي الرؤوس الجوفاء . انني اريد ان اتعلم فيمدرسة الحياة .

والتصقت كاميليا بجانب نورما وراحت تتحدث اليها همسا ، ثم اذا بالاثنتين تنفجران بالضحك بين الحين والاخر . وكانت السيارة في تلك الاونة قد انعطفت في منحنى الطريق ومضت نحو المنطقة الجبلية المؤدية الىالمعبر . كان جون يعرف بحكم عمله ان السيارة سوف تقطع خمسة عشر ميلا من المنحنيات الجبلية الوعرة قبل ان تصل الى الطريق المؤدي الى المعبر . ومن ثم راح يركز أنتباهه في القيادة ، ولكنه مع هذا لم يكن بمستطيع أن يمنع نفسه من اختلاس النظر الى الشقراء الفاتنة التي كانت لا تكف عن الضحك مع نورما وكأنهما تليمذتان في رحلة ممتعة .

ونهض المستر بريكارد ليستأذن من بمبلز في الجلوس مكانه ، ولكن السيارة انحرفت بقوة في تلك اللحظة فلم يستطع المستر بريكارد ان يسترد توازنه فاذا به يترنح ويتراجع خطوتين ويحاول ان يستند على ظهر مقعده ، ولكنه لم يتمكن ، واذا هو يقع جالسا في حجر كاميليا .

ونهض مسرعا مضطربا وقد سمع صوت تمزق ثوبها ، ثم التفت نحوها بوجه كله الاضطراب وهو يقول :

ــ انني آسف جدا .

ــ اوه ، لا عليك ، انك لم تكن تتعمد هذا طبعا .

ــ ولكنني مزقت ثوبــك .

ــ استطيع ان اصلحه ، ان الامر ليس خطيرا .

ــ ولكنني مصر على ان ادفع ثمن اصلاحه .

ــ لا لا ، لا داعي لهذا أطلاقا .

وقالت لنفسها :

« انه يريد ان يعرف عنوان مسكني لكي يرسل ثمن اصلاح الثوب ، هكذا هم جميعا ، لا يتركون فرصة دون ان ينتهزوها لتحقيق اغراضهم » .

وهنا قالت المسز بريكارد لزوجها بصوت مرتفع :

ــ اليوت ، ماذا دهاك ؟ أكنت تريد ان تجلس في حجر هذه السيدة ؟

وانفجر الجميع بالضحك ، حتى جون . وعندئذ لم يعد ركاب السيارة غرباء وانما اصبحوا ، في لحظة واحدة ، كأنهم اسرة مترابطة الوشائج . لقد ازال الضحك المشترك ذلك الجو المتوتر الذي كان يرين عليهم منــذ الصبــــاح .

وقـــال بريكـــارد :

ــ انك انسانة لطيفة يا مس كاميليا ، والواقع انني لم آت لاجلس على حجرك ، وانما لاتبادل الحديث برهة مع هذا السيد .

وأشار الى ارنست هورتون ، ثم اردف قائلا لبمبلز :

ــ اتسمح يا ولدي بأن آجلس مكانك لحظة ، فانني اريد ان اتحدث مع المستر هورتون في موضوع مهم ؟

وأومأ الفتى براسه ، وترك مكانه للمستر بريكارد ، هذا بينما كان العجوز فان برانت ذو العنق المتصلبة يقول لجون وهو يتأمل تكاثف السحب في السمـــاء :

ــ انها ستمطــر حتمــا .

فقـــال جـــون فـــورا :

ــ اعرف رجلا مات برفسة قوية من احد جياده .

ــ هذا غير معقول ! انني لم أر في حياتي جوادا يرفس صاحبه ، لا بد ان الرجل قد اخطأ في شيء ما .

ــ لقد قتلته على كل حال .

قالها جون ثم قرر ان يلزم الصمت .

وكانت السيارة في تلك اللحظة تقترب من سفح هضبة ، وكانت المنعطفات قد غدت اشد انثناء ووعورة .

وقال المستر بريكارد لارنست هورتون :

ــ لقد اهتممت كثيرا بحديثك معي في هذا الصباح يا مستر هورتون ، وانها لمتعة ان يتحدث الانسان مع رجل ذكي كثير التجارب مثلك . انني دائما ابحث عن رجال من امثالك ليعملوا في شركتنا .

ــ شكرا جزيلا .

ولكننا الان نعاني بعض الشيء بسبب المسرحين من الجيش ، ان واجبنا الوطني يحتم علينا أن نجعل لهم اولوية التعيين في المناصب العالية ، ولكنهم ــ بيني وبينك ــ اصبحوا غير صالحين للقيام بأي عمل ، لانه لا شك في ان الواحد منهم قد علاه الصدأ خلال اربع سنوات الحرب .

ونظر المستر بريكارد الى وجه ارنست هورتون وهو يتوقع ان يرى عليه امارات الرضا ، فاذ به يفاجأ بمعالم الغضب والسخط ترتسم عليه بوضوح ، وهو يقول :

ــ انني افهم ما تعني يا مستر بريكارد ، لانني شخصيا قد امضيت من عمري اربع سنوات في الحرب .

فقال بريكارد مضطربا :

ــ آه ، نعم ، نعم ، ولكنك لا تضع في سترتك شارة الانتهاء من الخدمة العسكرية !

ــ لانني وجدت عملا اقوم به .

وادرك بريكارد انه ارتكب خطأ جسيما ، واختلس النظر مرة اخرى الى الشارة الموضوعة في سترة هورتون ، ثم تذكر فجأة انها ليست شارة احد النوادي كما كان يظن ، وانما هي شارة وسام التقدير الذي لا يمنح الا لمن قام باعمال بطولية اثناء الحرب .

وقرر ان يصلح خطأه بسرعة فقال معتذرا :

ــ ولكن هذا الراي لا يمنع من القول بأن المسرحين من الخدمة العسكرية فتيان اشداء بواسل عرفوا كيف يؤدون واجبهم في الدفاع عن بلادهم ، ومن ثم وجب علينا ان نرد لهم الجميل .

فقال ارنست بصوت مفعم بالغضب :

ــ نعم ، كما فعلتم في الحرب العالمية الاولى عندما تركتم المحاربين القدماء يكادون يتضورون جوعا .

وتمنى بريكارد في تلك اللحظة ان يقطع الحديث ويعود الى مكانـــه ، ولكنه رأى ان يبذل محاولة اخيرة ليمحوا الاثر السيء الذي تركه في نفس هذا الشاب فقال :

ـــ انني شخصيا كنت رئيس لجنة المدافعين عن صفوفهم ، وايا كان الامر فانني سعيد بالتعرف عليك ، وارجو بعد العودة من الاجازة ، ان تتفضل بزيارتي في هذا العنوان ، لانه يسرني جدا ان اعهد اليك بالمنصب الذي يتفق مـــع مواهبـــك .

فلانت ملامح ارنست بعض الشيء ، وقال :

ـــ الواقع يا سيدي اني ضقت ذرعا بالتجول في كل مكان ، وكثـــيرا ما فكرت في الحياة المستقرة مع زوجة وابناء ، فهذه هي الحياة السعيـــدة يا سيدي ، وما أهنأ الرجل منا حين يعود اخر النهار ليجد ابناءه وزوجته في انتظاره ! انه في هذه الحالة ينسى كل ما يضطرب في العالم خارج باب بيته . نعم ، ان الحياة في الفنادق ليست حياة .

ـــ صدقت يا عزيزي هورتون ، انك تقول هذا لرجل يعرف صـــدق كلماتك ، فانا زوج ووالد منذ واحد وعشرين عاما ، ولو اتيحت لي حريـــة الاختيار لابدأ من جديد مرة اخرى لما اخترت حياة غير هذه .

ـــ انك رجل سعيد الحظ ، وان زوجتك كما يبدو سيدة وسيمة طيبة القلـــب .

فقال بريكارد وهو يومىء برأسه :

ـــ جدا ، ولست ادري ماذا كان في وسعي ان افعل بدونها !

ـــ لقد تزوجت ذات مرة ، ولكن زوجتي ماتت .

وحرص ارنست هورتون على أن ينطق الكلمات الاخيرة بلهجة تنم عن الحزن مما جعل المستر بريكارد يقول له :

ـــ انني آسف يا عزيزي ، وارجو ان تخفف الايام احزانك . والان انني لا اريد ان اتدخل في شئونك الخاصة ، ولكن حديثك عن امكان تحويل بذلة عادية الى بذلة سهرة ، فقد اثار اهتمامي ، واحب ان اتحدث معـــك بشأن هذا المشروع .

وانا ارحب بالحديث معك ، ولكنني اكـــرر القول بأن منتجي بذلات السهرة ، بل اصحاب مصانع الاقمشة ، سوف يحاربون فكرتي حربـــا لا هوادة فيهـــا .

ـــ ولكن هل سجلت مشروعك هذا ؟

— نعم ، سجلته على طريقتي الخاصة ، اذ اوضحت الفكرة بالرسومات ، ثم وضعتها في مظروف ختمته بالشمع الاحمر وارسلته بالبريد المسجل الى نفسي ، وبذلك ضمنت تسجيل التاريخ عليه .

— وهل هذه طريقة قانونية للتسجيل ؟

لا ادري ، سوف اسال بشانها احد المحامين .

ففكر بريكارد برهة ثم قال :

— ما رايك لو اشتركنا معا ، انت وانا ، في تنفيذ هذا المشروع ، وانشانا شركة توصية ، واعلنا اننا سننتج هذا النوع من البذلات على نطاق واسع .

فقال ارنست وقد ازداد اهتماما :

— ولكن بعض شركات بيع الاقمشة الكبيرة قد تبادر وتحاول شراء المشروع منا لتقتله .

— المشروع ام الشركة ؟

— الشركة وحق الامتياز .

فابتسم بريكارد وقال :

— نبيعها ما تريد بالثمن الذي نفرضه ، ونكون في هذه الحالة قد ربحنا مبلغا ضخما لا يخضع لضريبة ارباح المهن التجارية ، وانما لضريبة المهن الحرة .. انتظر .. ويمكننا بعد ذلك ان ننشيء شركة اخرى في مدينة اخرى وهكذا .

وصاح ارنست قائلا في اعجاب شديد :

— ونكرر الموضوع ، يا لك من رجل ذكي يا مستر بريكارد . ان هذا نوع من ابتزاز الاموال ولكن على مستوى عال ...

فقطب بريكارد جبينه وقال محتجا :

— هذا نوع من التجارة الحرة يا مستر هورتون . انني اعمل في الاسواق المالية منذ خمسة وثلاثين عاما ، ولا يستطيع احد ان يجد في سجل اعمالي نقطة سوداء واحدة .

— انني لا انتقدك يا مستر بريكارد ، وانما اعتقد انك من ابرع رجال المال . ولكن مشروعنا هذا يحتاج الى راس مال ، وانا لا املك المال اللازم لموضوع كبير الاهمية الان ولكنني استطيع ان اقترضه من احد المصارف ..

— ولماذا تريد المال وانا استطيع ان اقدم اليك ما تريد ؟

— انني اريد مالا لتسجيل الفكرة والحصول على حق الامتياز باسرع

وقت . وربما استعنت بمكتب التسجيل بواشنطن .
فقطب بريكارد جبينه وقال :
ـ لماذا كل هذه العجلة ، اتعتقد انني ربما ...
ـ لا لا ابدا ، ولكنني لن اطمئن حتى اضمن تسجيل الفكرة باسمي .
فتراخى بريكارد في مقعده وقال :
ـ افعل ما يحلو لك يا ولدي ، وكل ما استطيع ان اقوله لك هو انني مستعد لمعاونتك في اي مشروع مثمر قد يخطر ببالك .
فتلفت ارنست حوله برهة ثم قال هامسا :
ـ الواقع انني لا اشك في امرك يا سيدي ، ولكن لي صديقتين من بنات الهوى في لوس انجلوس ، واخشى اذا ذهبت الى مسكنهما ان افشي سر الفكرة وانا واقع تحت تأثير الخمر . هذه هي حقيقة الموضوع .
وتلفت بريكارد حوله ايضا قبل ان يجيب هامسا :
ـ وانا سأمضي يومين في هوليوود ، وارجو ان نلتقي لكي نتحدث في المشروع على نطاق اوسع .
ـ اتحب ان نلتقي في مسكن هاتين الصديقتين ؟
ـ لماذا لا ؟ ان الرجل منا يحب ان يرفه عن نفسه بين الحين والاخر . انني سانزل في فندق بيفرلي ولشاير ، فهل ستأتي لزيارتي فيه .
فقال ارنست :
ـ بكل تاكيد . ولكن اي النساء احب اليك : السمراء الخمرية ام الشقراء الذهبية ؟
ـ اوه ، لا تخطىء الظن بي يا مستر هورتون ، انني احب فقط ان اجلس مع هذا النوع من النساء لقضاء سهرة ممتعة ، لا اكثر .
فابتسم هورتون وقال :
ـ ولكن السهرة لا تكون ممتعة في رايي ما لم تكن حمراء . وان في استطاعتي اذا شئت ان اجعلك تقضي ليلة رائعة مع هذه الفاتنة الشقراء الجالسة في المقعد المجاور !
ـ اسكت ايها الخبيث !
واحس بمبلز بالرغبة الشديدة لان يهرش « حبة شباب » كانت تتكون في تلك اللحظة بجانب انفه ، ولكنه كبح جماح رغبته ، ووضع يديه في جيبي بنطلونه ، ثم رأى ان يتسلى بالحديث ، فلم يجد غير ميلدرد اقرب الركاب اليه ومن ثم قال لها :

ـ كم اتمنى لو اتيحت لي فرصة السفر الى المكسيك !

فنظرت اليه باندهاش ولم تجب ، فعاد يقول في شيء من الارتباك :

ـ واتمنى ايضا لو أتيحت لي فرصة السفر الـــى الصين لاشتغل مبشرا وطبيبا بين الاهالي البؤساء كما فعل سبنسر تراسي في فيلمه الاخير.

وراح بمبلز يقص عليها تفاصيل موضوع الفيلم ، بينما كانت هـــي تحاول جاهدة ان تشيح بنظراتها عن وجهه الممتلىء بالبثور الدرامية .

ولما فرغ من حديثه ، قالت بهدوء :

ـ لقد شاهدت هذا الفيلـــم .

وفي تلك اللحظة ، كانت السيارة قد بلغت الهضبة التي تفصل تلـــك المنطقة عن نهر سان سيدرو ، وبدأت في طريق الهبوط الى النهر الذي كانت مياهه تتألق من بعيد في مجراه الملتوي كالافعى الضخمة .

الفصل التاسع

أمام المعبر

في الوقت الذي سقطت فيه اليس شيكو فاقدة الوعي فوق كومة من الفواكه والفطائر امام مائدة الخدمة بقاعة الطعام ، وصلت السيارة بقيادة زوجها الى الاستراحة التي يمتلكها المستر بريد وزوجته بالقرب من المعبر الاول في الطريق من ريبلز كورنر الى مدينة سان جوان دي لاكروز .

وكانت السماء عندئذ قد تلبدت بكتل من السحب السوداء المنذرة بوابل من المطر الغزير ، وكانت مياه النهر قد ارتفعت الى قاعدة المعبر المصنوع من كتل الخشب والحديد على الطراز القديم ، وكان المستر بريد ، صاحب الاستراحة ، قد ذهب أكثر من عشر مرات الى المعبر ليطمئن عليه ، وكان في كل مرة يعود وهو مكتئب السمات . وفي المرة الاخيرة راى على صفحة الماء عجلا غارقا من العجول الممتازة في مزرعة صديقه جيمس وولتر ، ومن ثم ادرك ان مياه النهر فاضت على تلك المزرعة واكتسحت عددا من عجولها وابقارها الممتازة .

ورغم البلاغات التليفونية التي قدمها الى مركز الطرق والكباري في المنطقة ، فان احدا في المركز لم يحاول ان يسرع اليه لتدعيم المعبر وكان

المستر بريد وزوجته يعرفان ان اعمالهما التجارية متعلقة بهذا المعبر ، فاذا انهار ، انهارت معه ، او ينبغي عليهما الانتظار حتى يقام في مكانه معبر جديد من الصلب .

وتوقفت السيارة امام انابيب البنزين في الاستراحة ، وترك جون محركها دائرا برهة قبل ان يوقفه ، ثم فتح الباب الجانبي وهبط منه في نفس اللحظة التي وصل فيها المستر بريد الى جانب السيارة وتصافح الرجلان بحرارة ، وقال المستر بريد :

ــ الا ترى انك جئت متأخرا بعض الشيء ؟

ــ لا اظن ، الا اذا كانت ساعتي متأخرة .

وهبط بمبلز مسرعا ووقف بجانب الرجلين . وكان في الواقع يريد ان يرى كاميليا وهي تهبط عسى ان يلمح شيئا من ساقيها فيما فوق الركبتين .

وقال جون لبريد :

ــ كيف حال المعبر ؟

ــ لا يسر ، ويمكنك أن تلقي عليه نظرة بنفسك .

ــ هلم نمضي اليه معا .

وهبط بريكارد وارنست هورتون من السيارة ، ومن ورائهما هبطت نورما ثم كاميليا ، وكانت هذه خبيرة في الهبوط من السيارات فلم يستطع بمبلز أن يرى شيئا .

ولكنه قال لها :

ــ توجد بعض انواع المياه الغازية هنا في هذه الاستراحة ، فهل اشتري لك شيئا منها ؟

فاستدارت كاميليا الى نورما وقالت لها :

ــ ما رأيك يا عزيزتي ؟

ــ لا بأس .

وارتسمت امارات الاستياء وخيبة الامل على وجه بمبلز ، لانه كان يأمل أن تقبل كاميليا دعوته بمفردها ، ولكن الفتاة المجربة افسدت مناورته . وهتف جون قائلا للركاب انه ذاهب لالقاء نظرة على المعبر ، وسألت المسز بريكارد عن دورة المياه ، فقالت لها نورما انها في الجانب الخلفي من الاستراحة .

وعند المعبر وقف الرجلان يتأملان حالته السيئة وهو يهتز بعنف تحت ضغط المياه الصاخبة الفائرة ، واخيرا قال جون :

ـ ما معدل ارتفاع المياه في النهر ؟

ـ نحو ربع متر في كل ساعة ، ومن المتوقع ان تبدأ في الهبوط اذا لم تمطر السماء مرة اخرى ، ولكنها اذا امطـــرت ، فسوف يفيض هذا النهر المتقلب ويغرق مساحات شاسعة في هذه المنطقة .

وعاد جون يقول وهو يتأمل المعبر :

ـ اعتقد انه من الممكن عبوره بالسيارة ، او الاتفاق مـــع الركاب على أن يعبروه سيرا على الاقدام ثم الحق بهم بالسيارة خالية . ولكن المهم ، كيف حال المعبر الثاني ؟

فهز بريد كتفيه وقال :

ـ انني لا ادري ، لقد حـــاولت الاتصال تليفونيـــــا بمركز الطرق والكباري فلم استطع ان اجد احدا يرد علي . وانا لا انصح لك بالمرور على هذا المعبر اذا ضمنت ان المعبر الثاني سليم ، والا كيف يكون الحال اذا مررت على هذا بسلام ، ثم وجدت الثاني منهارا ، وعندما تأتي تجد هذا ايضا قد انهار . أنك عندئذ ستجد نفسك والركاب والسيارة محصورين بين فرعي النهر في اخطر منطقة معرضة للغرق السريع .

وهز جون رأسه ، وقـــال :

ـ ان بعض الركاب سيتذمـــرون جدا اذا انا لم اواصل الرحلة ، لا سيما ذلك الرجل البغيض فان برانت .

ـ اتعني ذلك العجوز العابس ؟ انه مدين لي بسبعة وثلاثين دولارا ثمن بذور بعض النباتات . لقد ابى ان يدفع الثمن محتجا بأن البذور قديمة وغير صالحة . ولكنه مدين لجميع اصحاب المتاجر في هذه المنطقة . انـــه رجل خبيث حقا . اذن فهو بين ركابك .

ـ نعم ، وبينهم ايضا رجل اعمال كبير من مدينة شيكاغو ، ولا شك انه سيغضب اشد الغضب اذا لم تسر الامور على هواه .

ـ حسنا ، عليك ان تختار الموقف الذي يرضيك .

فقال جون وهو يعيد النظر الى صفحة السماء المكسوة بكتل الغمام :

ـ اعتقد انه من الممكن المرور فوق المعبر الان ، ولكن السماء تنذر بالمطر ، واذا امطرت فسوف ينهار هذا المعبر حتما .

وفجأة ابتسم جون واردف قائلا :

ـ ولكن هناك طريقة واحدة للخروج من هذا المأزق .

ـ مـــا هـــي ؟

ـــ ان ادعهم هـــم يقررون اتخاذ الخطـــوة المناسبة . فهذه هي الديمقراطيـــة .

ـــ لسوف يتقاتلون قبل ان يصلوا الى قرار .

ـــ ليتهم يفعلون لاتخلص منهم جميعا .



وفي داخل الاستراحة ، كان بمبلز يجلس متجهما وقد شعر انه خدع في عملية شراء المياه الغازية لفتاتين ، بينما كان يريد ان ينفرد بواحدة منهما فقط ، وعبثا حاول ان يفرق بينهما ، لان كاميليا كانت قد اتخذت من نورما درعا يحميها من مثل هذه المناورات السمجة . اما نورما فكانت مشرقـــة الوجه بالابتهاج والامل . لانها عثرت على اول صديقة وعدتها بالاقامة معها، ومن يدري ، فلعلهما تستطيعان استئجار مسكن خاص بهما ، حيث تعيشان في مأمن من الذئاب البشريـــة .

وقطعت كاميليا حديث بمبلز عـــــن هندسة الرادار التي ينوي ان يتعلمهـــا ، قائلـــة :

ـــ شكرا لك على هذا الشراب يا مستر كارسون . والان اريد ان امضي لاغتسل وازيل بعض اوضار السفر عني ، هل ستأتي معي يـــــا نورمـــــا ؟

والتمعت في عيني نورما نظرة حب وتفان ، وهي تقول :

ـــ نعم ، نعم يا عزيزتي كاميليا انني في حاجة ايضا للاغتسال .

وكان كل ما تقوله كاميليا في رايها صوابا وجميلا ورقيقـــا ، ولشد ما اخذت تبتهل الى الله بكل كيانها : « يا رب ، حقق املي في الحياة مع هـــذه الصديقـــة اللطيفـــة » .

وكان هورتون في تلك اللحظة جالسا يعرض على المستر بريكـــارد احدى اللعب اللطيفة التي تنتجها شركته ، وكانت عبارة عن اناء من الخزف على شكل كأس ، ويتصل به خزان على هيئة برميل صغير ، ويتدلى من الخزان مقبض صغير اذا جذبه الانسان ، انسكبت منه كمية معينة مـــن الويسكي أو اي شراب اخر في الكأس ، ولما حاولت المسز بريكارد ان تبدي رأيها في هذا الاختراع ، قال لها زوجها :

ـــ على الفتيات الصغيرات الا يحشرن انوفهن في اعمال الرجال

وكانت ميلدرد جالسة بمفردها ، مرهقة ، مكتئبة النفس ، بادية السأم ، تراقب محاولات بمبلز للانفراد بالفتاة الشقراء ، وكانت لا تزال تحس بالنفور من هذه العاطفة المتأججة التي تريد أن تدفع بها الى ذراعي جون شيكو ، ولهذا كانت تبذل كل جهدها حتى لا تنهض وتبحث عنه لكي تظل قريبة منه .

وفجأة سمعت صوت العجوز فان برانت يقول لها :

ـــ ياسيدتي الصغيرة ، ان طرف قميصك الداخلي يبدو من اسفل ثوبك .

فوثبت واقفة من فرط المفاجأة ثم قالت وهي تستدير برأسها لترى طرف الثوب :

ـــ أوه ، شكرا جزيلا .

ـــ لو لم الفت نظرك الى هذا لامضيت اليوم كله هكذا ، وعندما تتبينين الامر في اخر النهار ستشعرين بالخجل وبالسخط على الذين رأوا هذا المنظر دون ان يلفتوا نظرك اليه .

ـــ أوه ، نعم ، نعم ، اعتقد ان حمالة القميص قد انفصلت .

ـــ انا لا يهمني امر القميص او حمالته ، ولكنني اردت فقط ان الفت نظرك ، وارجو الا تظني ان هناك دوافع اخرى جعلتني انظر الى ساقيك ، فان الفتاة منكن تظن ان جميع الرجال لا هم لهم الا النظر الى سيقان الفتيات .

وهنا ضحكت ميلدرد فجأة ، فقال لها العجوز :

ـــ ما السبب في هذا الضحك الان ؟

وظلت الفتاة تضحك ضحكا متصلا ، واخيرا قالت له :

ـــ لا شيء ، ولكنني تذكرت فقط انك اكثر الرجال بحلقة في سيقان الفتيات يا مستر برانت ولست أدري كيف يكون شعورك اذا علمت انني ارتدي ثوبا وقميصا داخليا فقط ، فهل تفهم ما اعني ؟!

وازداد ضحكها ، وهي ترى العجوز يطرف بعينيه ، ويضطرم وجهه ويرتبك فجأة فلا يحير جوابا . ثم مضت مسرعة نحو دورة المياه واثقة بأنها تركت العجوز في حالة عاطفية يرثى لها .

وفي دورة المياه رأت ميلدرد الفاتنة كاميليا وهي تقوم بعملية في الوقت الحاضر ، ومع ذلك فان عزيزتي نورما تتحدث عن المسكن ذي

الاضواء والارائك !

فقالت ميلدرد :

ـ الواقع اننا مجموعة غريبة في هذه الرحلة .

ـ بل الحقيقة اننا لانكاد نختلف كثيرا في اعماق نفوسنا ، فان لكل منا رغبة خاصة يخفيها عن الاخرين ، ورغبة عامة يعلنها .

ـ ان الشخص الوحيد المتزن بيننا هو المستر شيكو ، وهو نصف مكسيكي من ناحية الام ، ولكن ذلك الغلام ! اوه ، يخيل لي انه لا يتردد في الوثوب على اية واحدة منا اذا سنحت له الفرصة .

فقالت كاميليا برفق :

ـ اوه ، انه لا بأس به . كل عيبه انه لا يعرف انه يعاني من دور مراهقة حاد ؟ وعندما يعرف هذه الحقيقة ، فلا شك انه سيكون اكثر سيطرة على اعصابه فهزت ميلدرد كتفيها وقالت :

ـ أو ربما يعيش طول حياته وهو يعاني من هذا الدور ، انظري الى ذلك العجوز فان برانت ، انه لا يزال في دور المراهقة حتى الان ، وان كل افكاره تدور حول الجنس ، هذا اللعين !

فابتسمت كاميليا وقالت :

ـ عجبا ! انه عجوز جدا .

وجلست ميلدرد على مقعد بجوار الحوض ثم قالت فجأة لكاميليا :

ـ اسمعي يا مس اوكس ، انني اريد ان اوجه اليك سؤالا خاصا . وهو ان ابي يعتقد انه رآك في مكان ما من قبل ، وهو يتمتع بذاكرة قوية ، فهل تعتقدين انك رأيته بدورك ؟

ولاحظت ميلدرد نظرة الجفاء التي بدت في عيني كاميليا فجأة ، وكان صوت هذه الاخيرة ينم عن البرود ايضا وهي تجيب قائلة :

ـ لعله رأى فتاة تشبهني ، ولا شك ان ذاكرته قد خانته هذه المرة او ربما رآني وانا أسير في طريق عام .

ـ انني لا احاول ان اعرف بعض اسرارك الخاصة يا مس اوكس ، ولكنني فقط كنت اتساءل اين رآك ابي من قبل .

وفي تلك اللحظة تلاشى من المكان جو الصداقة والزمالة والمودة ، وخيمت مكانه سحب الشك والتربص ، وكأنما دخل عليهن رجل فجأة .

وقالت كاميليا بنفس الصوت البارد :

ـ لا شك أن ذاكرته قد خذلته هذه المرة ، ويمكنك ان تصدقي او

تكذبي ، فليس هذا من شأني .

وفي تلك اللحظة دخلت المسز بريكارد وقالت لابنتها :

— اوه . . هل انت هنا ؟ لقد ظننت انك ضللت الطريق وانت تتجولين في هذه المنطقـــة .

فقالت ميلدرد :

— لقد انقطعت حمالة قميصي . .

— حسنا ، اسرعي ، لقد عاد المستر شيكو من المعبر وهـــو يدير الان مناقشة كبيرة الاهمية .

— آه ، شكرا لك يا عزيزتي . .

قالتها لنورما التي تخلت لها عن الحوض ، ثم اردفت قائلة :

— لسوف ابلل فقط طرف منديلي وامسح الغبار عن وجهي ، لمـــاذا لم تتناولي عصير الليمون الطازج يا ميلدرد . ان المسز بريد سيدة لطيفة ، بارعة في اعداد شراب الليمون الطازج ، وقد قلت لها انها قد تظفر بشهـــرة عريضة في هذه المنطقة اذا هي تخصصت في اعداد عصير الفواكه الطازجة .

وهنا قالت كاميليا فجأة :

— انني اتمنى لو استطعنا ان نجد ما نأكله هنا . فقد بدات اشعـــر بالجوع ، واريد طعاما وفيرا .

فقالت المسز بريكارد :

— وهكذا الحال معي ، لا سيما ولا تزال امامنا مسافة طويلة حتـــى نصل الى المدينة التالية ، ما اسمها ؟

فقالت نورمـــا :

— سان جوان دي لا كـــروز .

فكررت المسز بريكارد الاسم في صوت منغم قائلة: :

— سان جوان دي لا كروز : ان للاسماء الاسبانية رنينا جميلا .

وعادت نورما تنظر الى نفسها في المرآة وهي لا تكاد تصدق عينيهـــا بسبب التغيير الكبير الذي طرأ عليها .

الفصل العاشر

القرار الأخير

كان جون شيكو جالسا على مقعد مثبت امام مائدة الخدمة في استراحة المستر بريد ، يشرب زجاجة مياه غازية وقد عقد جبينه مفكرا ، واخيرا وضع الزجاجة ونظر الى الجميع وقال فجأة :

— هل انتم جميعا هنا ؟ الا ينقصكم احد ؟ آه اني لا ارى المستر فان برانت بينكم .

فقال فان برانت :

— انني هنا .

وكان واقفا غير مرئي وراء ارفف الخضروات الطازجة يفحصها ، هذا بينما قال المستر بريكارد :

— اريد ان اعرف متى تستأنف الرحيل . ان المعبر سليم حتى هذه اللحظة ، ومن الممكن اجتيازه بالسيارة . اما المعبر الاخر فليست لدينا اية انباء عنه . انه قد يكون سليما او منهارا . فاذا كان منهارا وحاولنا العودة ولم نستطيع ان نجتاز المعبر الموجود هنا مرة اخرى ، فسوف نجد انفسنا محصورين في منطقة انحناء النهر ، وهي منطقة خطرة قد يجرفها الفيضان

في اية لحظة قبل ان يدركنا احد بالنجدة الازمة . وانـــا شخصيا ليس لـــي مصلحة خاصة في هذا الموضوع فاذا شئتم ان نغامر باجتياز المعبر ونواجه القدر المجهول ، فأنا معكم ، والا فاني مستعد ان اعود بكم ــ اذا شئتم ايضا ــ الى مدينة سان سيدرو حيث يتصرف كل واحد منا حسب ما يحلـــو له . وعليكم الان ان تتفقوا على راي معين اما بالاجماع او بالاغلبية المطلقة

وعاد الى زجاجة المياه الغازية يرفعها الى فمـــه بينما قـــال المستر بريكارد بصوت مرتفع :

ــ اسمع يا صاحبي . انني لم انعم باجازة سنوية منذ اعوام طويلة لقد كنت مديرا لاحد المصانع الحربية اثناء الحرب ، ولم اظفر خلالها باجازة اسبوع كامل ، وهذا يعني انني في اول اجازة كاملة لي منذ اعوام ، وأريد ان انعم بها ، فكيف تريد مني ان اعود ادراجي الـــى مدينة ســـان سيدرو وبذلك تضيع ثلاثة ايام من هذه الاجازة الثمينة سدى !

فقال جون :

ــ انني آسف يا مستر بريكارد ، انني لا اقترح هذا عن قصد وانما اخشى اذا وقعنا في مصيدة فرعي النهر ان تضيع منك الاجازة كلها سدى .

وهنا خرج فان برانت من وراء ارفف الخضروات الطازجة ، وتقدم ببطء حتى وقف امام جون ، ثم قال وهو يعقد يديه وراء ظهره :

ــ لقد سمعت كل ما قلته يا هذا ، فهل تعتقد ان في مقدورك خداعنا واضاعة هذه الايام سدى من عمرنا وتعطيل أعمالنا ! ان لدي قضية هامة يجب ان احضرها في العاشرة من صباح الغد بمحكمة مدينة سان جوان دي لاكروز ، ومن ثم يجب ان اصل الى هذه المدينة اليوم بأية طريقة . وعليك انت ان تجد لنا هذه الطريقة لانك تحمل امتياز هذا الخط الوحيد ويجب ان تتحمل اعباءه ومطالبه ايضا .

فقال جون :

ــ وهذا ما اريد ان افعله ، ولكن ليس من اعباء الامتياز ان اتسبب في قتل الركاب .

ــ وهذا يرجع الى جهلك بتضاريس هذه المنطقة ، وكان ينبغي على المسؤولين ان يتأكدوا اولا من المام السائق بكل نواحي هذه المنطقة قبل ان يمنحوه حق الامتياز والتلخيص ، ولكنهم كلهم لصوص .

ثم صمت برهة ، وحانت منه نظرة الى نورما ، وبدا الاندهاش واضحا عليه وهو يرى التغيير الذي طرأ عليها ، ولو انه اطال النظر لحظة واحدة

اخرى ، لاثار ضحك الجميع ، الا انه تنبه لنفسه ، فالتفت الى جون وقال له :

— تقول انه ليس لدينا غير طريقتين : فاما ان نغامر ونمضي ونواجه المجهول بعد المعبر الاول ، أو نعود ادراجنا الى سان سيدرو ولو انك خبير بهذه المنطقة ، لعرفت ان ثمة طريقا ثالثا يمتد بجانب النهر ، وكان يستعمل قبل انشاء المعبرين لمرور المركبات على اختلاف انواعها .

فنظر جون الى بريد متسائلا ، فأجاب هذا قائلا :

— لقد سمعت بوجوده ، وهو يدور حول ثنية النهر الواسعة ،ولكنني لا اعرف كيف حاله الان .

فقال فان برانت :

— لقد ظلت المركبات تستعمله مائة عام .

وقال بريد :

— اعرف ان الطريق لا باس به مسافة ميلين ، اما فيما عدا ذلك فلا اعرف الا انه يصعد الى الجبل من الناحية الشرقية ، هناك ولكن من المحتمل ان تكون العوامل الجوية قد محت آثاره .

وصاح فان برانت مهللا :

— انا الذي تنبأت بالمطر ، وانا الذي قلت لكم ان النهر سيفيض ، وان المعابر عليه قد لا تحتمل الفيضان ، وانا الذي دللتكم على هـذا الطريق الثالث ، فماذا تريدون مني اكثر من هذا ؟ لعلكم تريدون ان اقود لكم هذه السيارة اللعينة ؟

فقال جون بحدة :

— حسن الفاظك يا مستر برانت ولا تنس ان معنا سيدات !

فهز فان برانت كتفيه وقال :

— يا لها من رحلة كانت من اولها ..شؤمًا !

واستدار جون الى الباقين وقال لهم :

— ان حق الامتياز الذي معي يحتم السير عن طريق المعابر ، وانا لا اعرف شيئا عن الطريق القديم ، بل لا اعرف اذا كان من الممكن اجتيـازه بالسيارة ام لا . وعليكم الان ان تقرروا ماذا تريدون . وكل ما ارجـوه لنفسي هو ان لا تنحوا علي باللائمة فيما بعد .

فقال المستر بريكارد :

— انني تعودت الا اقف في منتصف الطرق ، واريد ان اصـل الى

لوس انجلوس في الوقت المناسب ، لان لدي تذاكر سفر في الطائرة منها الى المكسيك . فهل تعرف كم ثمن تذكرة السفر بالطائرة ايها الرجل ؟ والان يجب ان نمضي في طريقنا ، فهل تعتقد ان حالة المعبر تنذر بالخطر ؟

ـ نعم .

ـ وترى إنك لا تضمن اجتيازنا للطريق القديم ، اليس كذلك ؟

ـ نعم .

ـ هذا يعني ان علينا ان نختار بين امرين كلاهما مر .

وهنا قالت المسز بريكارد :

ـ ايا كان الامر يا عزيزي اليوت ، فيجب ان نصل بسرعة الى احدى المدن ، انني لم استحم منذ ثلاثة ايام .

وقالت ميلدرد :

ـ انني اوافق على اتخاذ الطريق القديم ، وليكن ما يكون .

ونظرت الى جون لترى اثر كلماتها عليه ، ولكن هذا كان ينظر في تلك اللحظة الى كاميليا التي كانت تقول عندئذ : ـ

انني ايضا اوافق على المضي في الطريق القديم ، فقد بلغ بي التعب والاجهاد حداً يجعلني لا اهتم كثيراً بما قد يحدث .

ونظر جون الى نورما وقد ادهشه ما قد طرأ عليها من تغيير ، ولاحظت هي دهشته بقلب خافق ، ولكنها أطرقت براسها وقالت :

ـ وانا اوافق على الطريق القديم .

وهناك قال ارنست هورتون :

ـ وانا لا يهمني كثيراً ان اصل الى لوس انجلوس في الموعد المحدد ام بعده بأسابيع ولهذا فاني سأمضي مع الاغلبية .

وهنا ضرب فان برانت مائدة الخدمة بكفه وقال معترضا :

ـ ان السماء سوف تمطر ، ومن المحتمل ان تقع السيارة في حفرة مملوءة بالماء لا يمكننا اخراجها منها ، ومن المحتمل ان يغدوالطريق الصاعد الى سفح الجبل زلقا فلا تستطيع العجلات ان تمضي فيه ، وهذا يعني اننا معرضون لخطر التعطل في منطقة موحشه قد نظل بها يوما او اكثر قبل أن تأتينا النجدة .

فقال جون مندهشا :

ـ ولكنك انت الذي اقترحت الطريق القديم .

ـ ولكنني لم اقترح استخدامه في مثل هذه الظروف .

ـ ان احدا لا يرغمك على الركوب معنا ، ويمكنك البقاء في هذه

الاستراحة حتى تعود الى مدينة سان سيدرو مع اية سيارة في الطريق اليها
— وقضيتي غدا في مدينة سان جوان دي لاكروز ؟

وهز جون كتفيه في ياس ، ونظر الى الجميع متسائلا ، ثم قال لبمبلز :

— وانت يا ، كيت ما رايك ؟

— انني مع الاغلبية يا ريس .

— اذن فقد اخترنا جميعا ، فيما عدا واحدا ، الطريق القديم .

ولما حاول العجوز ان يمضي في احتجاجه ، استدار جون الى المستر بريد وقال له :

— اريد منك بعض الادوات ، وسوف اعيدها اليك عند عودتنا .

— اي نوع من الادوات ؟

— جاروف ومعول وكمية من الحبال ورافعة .

— اوه ، اذن فانت تتوقع ان تغوص عجلات السيارة في الوحل !

— كل شيء متوقع في مثل هذه الظروف .

— حسنا ، اذهب الى قسم الادوات واختر منها ما شئت .

ومضى جون مع بمبلز الى قسم الادوات القائم في مبنى صغير وراء الاستراحة ، بينما قال ارنست لكاميليا :

— انني مستمتع بما يحدث تماما .. فالانسان لا يجد مثل هذه المآزق الممتعة كل يوم .

فقالت الفتاة وقد فهمت غرضه الحقيقي :

— انني فقط متعبه ، فقد ظللت اركب سيارات السفر خمسة أيام لم اغير ملابسي فيها ، ولم انم كما ينبغي ليلتين .

— ولماذا لم تسافري بالقطار ؟ لقد جئت من شيكاغو . اليس كذلك ؟

— نعم شيكاغو .

— اذن كان في مقدورك ان تركبي القطار الفاخر الملحق به مركبات الاكل والنوم .

فهزت كاميليا كتفيها ، وقالت :

ومن اين لي المبلغ الكافي لركوب مثل هذا القطار ؟ ان ما معي من نقود لا يكاد يكفيني اكثر من اسابيع قليلة حتى اجد عملا اخر . ولهذا فاني افضل سريراً لشخصين على سرير لشخص واحد !

فابتسم أرنست وقال بغموض :

— هل تعنين ما تقولين حقا ؟

ـ نعم ، اليس هذا افضل من اللف والدوران ؟

ـ اذن فانا تحت أمرك .

ـ شكرا .

وكانت نورما تراقبهما وتحاول ان تفهم المعاني التي ينطوي عليهـــا حديثهما . ولكنها لم تستطع ان تفهم شيئا ، ومـــن ثم اكتفت بان اخـــذت تلتهم وجه كاميليا اعجابا وحبا واخلاصا .

وهنا سمع الجميع صوت جون من الخارج يقول :

ـ هلم ايها السيدات والسادة .

الفصل الحادي عشر

الهرب

كان الطريق الخلفي الذي يدور مع نهر سان سيدرو طريقا قديما جدا لا يكاد احد يعرف تاريخه . وكانت المركبات تستعمله حقا ، وكذلك المسافرين على متون الجياد ، وفي مواسم الجفاف كانت الماشية تساق فيه الى النهر حيث كانت ترقد تحت ظلال الشجر اثناء الهجرة ، ويشرب من البرك المحفورة في مجرى النهر . ذلك ان نهر سان سيدرو كان في فصول الجفاف تكاد تجف مياهه اما في فصول الامطار فيمتلىء ويهدد بالفيضان في اكثر المواسم . وكان الطريق في الواقع لا يعدو ان يكون شريطا من الارض يمتد بحذاء النهر الملتوي ، ولا تحدده الا اثار العجلات وحوافر الجياد ، وهو في الصيف كثير الغبار وفي الشتاء كثير الاوحال ، وبعد ان قل استعماله كثرت فيه الحفر والمطبات ، وتساوت اجزاء منه مع الاراضي المحيطة به .

في هذا الطريق استعد جون ليقود السيارة بعد أن جلس في مقعد القيادة منتظرا حتى يستقر الجميع في مقاعدهم ومصمما على انه لو تعطلت السيارة لسبب ما ، فسوف يتركها ويمضي .. يمضي الى حيث لا رجعة .

وان هذا الخاطر ليملأ نفسه بالابتهاج ، وكأنما هو تلميذ يوشك ان ينال اجازته السنوية التي سيقضيها في مناطق مليئة بالسحر والمغامرات .

وقال للركاب بصوت ينم عن بهجته الخفية :

ـ انني لا ادري هل نستطيع اجتياز هذا الطريق ام لا .

وسرت موجة من القلق بين الركاب وهم يحسون بهذه البهجة الخفية التي بدت في صوت جون !

وانسابت السيارة منحرفة الى الطريق القديم ، وازداد وجه السماء تلبدا بالسحب المتكاثفة ، وبدا للجميع بوضوح ان المطر في هـذه المنطقة سوف ينهمر بغزارة كأنما يسقط من افواه القرب . وقد قال فان برانت في زهو :

ـ ان المطر قد اوشك على الانهمار .

فقال جون :

ـ نعم .

وقال المستر بريكارد بصوت مرتفع :

ـ ما طول هذا الطريق ؟

ـ يقولون ثلاثة عشر ميلا وربما خمسة عشر .

وانطلقت السيارة على الطريق القديم ، وانطلقت معها افكار جون .
وكان بين الفينة والفينة ينظر الى تمثال صغير للعذراء معلق ـ على سبيل البركة ـ في سقف السيارة امامه مباشرة . وفي خلال هـذه الفترة التي كانت السيارة تجتاز فيها الطريق الموحل ، راح هو يحدث العذراء بأفكاره قائلا :

«أنت يا سيدتي المقدسة تعرفين انني لم اكن سعيدا في السنوات الاخيرة ، وانني لم ارض بالبقاء في المصيدة التي وقعت فيها الا بدافع من الشعور بالواجب ، وهو شعور ليس متأصلا في نفسي كما تعلمين ، لاسيما اذا كان هذا الواجب لا فائدة لي فيه . وانا الان سأضع بين يديك اتخاذ قرار اخير في مصيري ، لاني لا استطيع ان اتحمل بمفردي مسؤولية الفرار من زوجتي ، ومن مؤسستي الصغيرة . فلو كنت اصغر سنا ، لما ترددت في اتخاذ هذه الخطوة ، اما الان ، فاني بلغت سن الكهولة ، وتعودت على الراحة ، ولم تعد لعضلاتي قوتها ، ولا لجسمـي قوة احتماله . واني اضع مصيري الان بين يديك ، وانا اسير على هـذه الطريق بغير ارادة مني . فاذا تعطلت السيارة او غاصت عجلاتها الخلفية ، وكان في مقدوري بأية

وسيلة ممكنة ان اعيدها الى العمل ، فلن اتردد في ذلك ، واذا كان ثمة احتياطات لازمة لضمان اجتياز الطريق في سلام ، فسوف اتخذها ، اما اذا رايت لحكمة خفية ان تغوص السيارة مثلا حتى محاورها بحيث لا يمكن انتشالها الا بمساعدات خارجية ، فاني سأفهم من هذا انك تريدين مني ان انطلق الى حياة جديدة »

وتنفس جون بعمق ونشوة ، وتألقت عيناه بالتقرب والامل ، وكان في مقدور ميلدرد ان ترى وجهه في المرآة الموضوعة امامه ، ومن ثم عجبت لما يبدو عليه من نشوة واشراق وابتهاج!وقالت لنفسها:هذا هو رجل.رجل كامل الرجولة ، رجل من النوع الذي تشتهيه المراة الكاملة الانوثة . انه رجل يأبىان يكون في اعماق وجدانه أي احساس انثوي ، بل يأبى ان يغوص في اعماق نفسية المراة ، لان هذا يستلزم الالمام بمشاعرها الخاصة ، وهو يأبى ان يفعل هذا .

وزال كل شعور من عواطفها الجنسية المشبوبة نحوه . انها عواطف طبيعية لفتاة مكتملة الانوثة مثلها ، نحو رجل مكتمل الرجولة مثله . فلماذا تنفر من عاطفة طبيعية كهذه ، ولماذا تحاول كبتها والقضاء عليها ؟

وتنهدت اخيرا في ارتياح .

وكانت امها تكتب في ذهنها عندئذ خطابا اخر الى صديقتها ايلين تصف فيه بقية هذه الفترة من الرحلة .

وقال فان برانت عندما اقتربت السيارة من منطقة يرتفع فيها الطريق تدريجيا :

ــ هل لديك سلاسل تمنع العجل من الانزلاق الى الخلف ؟

فقال جون في سرور :

ــ لا . انني لن اشتري هذا النوع من السلاسل حتى قبل الحرب .

فصاح فان برانت قائلا ، وهو يشير نحو الشرق :

ــ في هذه الحالة لن تستطيع ان تمضي في الطريق الصاعد الى ذلك السفح .

ثم اردف قائلا للركاب :

ــ ان السيارة تمضي على الطريق المستوي بلا عوائق او صعوبات ، ولكنها لن تستطيع ان تصعد ذلك الطريق المرتفع ، عند الشرق ، بسبب وحولة الطرق .

وكان بمبلز في تلك اللحظات يشعر ايضا بلون عجيب من البهجة

والرضا . اذ كان يكفي ان يشعر بوجود كاميليا على مقربة منه حتىيحس ان الحياة جميلة كأجمل ما ينبغي ان تكون . ذلك ان عصارة المراهقة التي تلهب دمائه، كانت تجعله لا يفكر ليلا ونهارا الا في شيء واحد ، وهو جسد المرأة .. وكلما كانت المرأة شابة وجميلة ، كان تفكيره فيها يزداد تركيزا وقوة .

وكان منذ رأى كاميليا ، وهو يشعر ان كل افكاره واشواق جسمه تتجه اليها ، وتتركز فيها ، ومن ثم كان يتصور نفسه وهو يتقدم طالبــا الزواج منها ، ثم وهي تقبل هذا العرض ، ثم وهو يقضي معها الليلة الاولى ليلة العمر ، ولكنه لا يلبث أن يشعر بالحيرة والارتباك حين ينظر في اتجاهها فيرى انها لا تكاد تشعر بوجوده !

وسمع بمبلز همسات المراهقة تطن في اذنه قائلة : حسننا جدا ، اذا لم استطع ان انال كاميليا فقد استطيع الظفر بنورما . انني لا اخشاها كما اخشى ربة الجمال ، كاميليا هذه ! ومن ثم راح ، بلا وعي يفكر بالوسائل التي يمكن بواسطتها الايقاع بنورما بين احضانه . وفي تلك اللحظات كانت « حبة شباب » جديدة قد نضجت ، فمد يده بلا ارادة وهرشها بظفره ، فانثالت منها الدماء ، وهنا اسرع ووضع منديله على خده ، ودس يــده الاخرى في جيبه حتى لا يعود الى عملية الهرش !

وكان المستر بريكارد يحاول دائما ان يزيل كل شك في نزاهته قــد يخامر ذهن أرنست ومن ثم قرر ان يقدم اليه اختراعا صغيرا بلا مقابل ، كان قد فكر فيه من قبل ، وها هو ذا يقول له :

ــ ان لدي فكرة جديدة عن ازرار اكمام القميص ، وارجو ان تعرضها على شركتك فربما تعجبها وتوافق عليها .

فقال ارنست هورتون بلا اهتمام في أول الامر :

ان شركتي لا تهتم الا بألعاب التسلية والفكاهة ، ولكن لا بأس ان يسمع الانسان فكرة جديدة .

ــ ان الواحد منا قد يقع في مأزق حين يحاول ان يشمر اكمام القميص فوق المرفق ، فلا يستطيع الانسان أن يعيده الى مكانــه ، ولا يستطيع في الوقت نفسه ان يفك الازرار !

فهز أرنست كتفيه وقال :

ــ هناك نوع من الازرار يشبه « الكبسولة » يمكن فكها بسهولة .

ــ انها انواع رخيصة قلما يقبل عليها احد .

— اذن ما هي فكرتك الجديدة ؟
فابتسم المستر بريكارد ثم قال :
— فكرة بسيطة وعملية ، وهي ان تربط بين كل زوج من الزراير لولب من الصلب يتسع عندما يشمر الانسان كمه وينكمش عندما يعاد الكم الى مكانه . وبطبيعة الحال يمكن وضع هذا اللولب داخل انبوبة ذهبية للنوع الثمين ، او معدنية للنوع الرخيص .
فأومأ ارنست براسه وقال :
— هذه فكرة طيبة يا سيدي ، ومن السهل تنفيذها .
— يمكنك ان تتبناها وتستفيد بكل ما يعود عليك من ارباح عند تنفيذها .
فنظر ارنست اليه مندهشا وقال :
— هل تعني يا سيدي انك تتنازل عن حق استغلالها ؟
— نعم نعم ، هذا ما اعنيه بطبيعة الحال ، لانني اعجب دائما بالشبان الموهوبين المكافحين امثالك . وانه ليسرني جدا ان اقدم لهم اية خدمة ممكنة لمعاونتهم على شق طريقهم في الحياة .
فقال ارنست وهو يتناول مفكرته من جيبه :
— انني عاجز عن شكرك يا سيدي ، ولكن التنازل يجب بطبيعة الحال ان يكون كتابيا ، ولهذا ارجو ان نلتقي لمناقشة الموضوع اثناء وجودك في هوليوود.
ثم غمز بعينيه خلسة نحو المسز بريكارد واردف قائلا وهو يقدم الورقة المنزوعة من المفكرة :
— هذا عنواني ورقم تليفوني . فندق الوها ارمز ، همستيد ٥٥٢٣ الغرفة ١٢ ب .
وتناول المستر بريكارد قصاصة الورق ووضعها في حافظة نقوده ثم التفت الى زوجته وقال :
— هل انت بخير يا فتاتي الصغيرة ؟
— نعم ، نعم ، لقد كاد ذلك الصداع اللعين يهاجمني ، ولكنني قاومته واكدت لنفسي انني لن اصاب به اليوم على الاقل حتى لا افسد الاجازة عليك يا عزيزي .
— انني سعيد جدا يا عزيزتي .
ثم وضع يده على ركبتها وضغط عليها قليلا ، ولكنها ضربته على

يده مداعبة .

وكانت نورما قد وضعت فمها بالقرب من اذن كاميليا حتى لا يسمع احد حديثهما ، ولا سيما بمبلز الذي كان يحاول جاهدا ان يلتقطه وقد كانت في تلك اللحظة تقول لكاميليا :

— انني في الواقع وحيدة في الحياة ، ليست لي اسرة اطلاقا . اعني ليس لي اخوة او اخوات او والدان .

وعادت تقول :

— وعندما يكون الانسان وحيدا في الحياة يقول ويفعل اشياء عجيبة . فمثلا كنت احب ان اكذب على الناس ، وان اتظاهر أمام الناس على غير حقيقتي ، بل كنت اخدع نفسي واتصور اني احب نجما سينمائيا معينا ، ثم .. ثم اتخيل نفسي وأنا زوجة له !

ويبدو ان العبارة الاخيرة انفلتت من لسانها رغما عنها ، لانها لم تكن تقصد ان تتمادى الى هذا الحد بالتصريح بكل ما يدور بذات نفسها ، ثم انه ما كان ينبغي — في رايها — ان تقول هذا ، لانها شعرت عندئذ كانها خذلت المستر جيبل ، ولكن عجبا ! انها تتحسس مشاعرها وتفحصها ، فتجد ان هذه المشاعر لم تكن كما كانت بالنسبة للمستر جيبل ، لقد تحولت كلها الى كاميليا ، وقد صدمتها هذه الحقيقة وجعلتها تتساءل : ترى هل انا هوائية متقلبة !

وقالت كانها توضح الامر :

— ان الانسان عندما يكون محروما من الاسرة والاصدقاء ، يحاول ان يصنعهم ولو بخياله ، اليس كذلك يا حبيبتي ؟ اما الان ، فلا داعي لان اصنع من الاوهام اهلا واحبابا ، لانك ستقيمين معي في مسكن واحد وتملئين علـــي حياتـــي .

وادارت كاميليا وجهها حتى لا ترى امارات اللهفة والتفاني في الاستسلام المطلق في عيني نورما . ثم قالت لنفسها في حيرة : « يا للكارثة ! ماذا افعل الان ، لقد وضعت نفسي في مأزق لا اعرف كيف الخلاص منه . فكانما قد ولدت لي ابنة كبيرةعلى حين غرة ، وانا لا ادري ماذا اقول لها عن حقيقة امري ؟ انني قد احتملتها وأعيش حياتها لمدة معينة ، ولكنني قد اموت مـــن فرط السأم والضجر . ثم كيف يكون الامر لو ان صديقتي الحميمة لورين تترك عشيقها مندوب شركة الاعلانات لتستأنف الحياة معي ، فماذا افعـــل

بنورما هذه ؟ ما الذي جعلني اتمادى في علاقتي بها الى هذا الحد بحق السماء ؟ » .

والتفتت الى نورما وقالت لها بصوت حاد :

ـ اسمعي يا حبيبتي ، انني لم اعدك وعدا قاطعا بالسكن معي . وانما قلت لك سوف نرى كيف تسير الامور . وان هناك الشيء الكثير الذي لا تعرفينه عني . فأنا مثلا مخطوبة للزواج ، وربما يصر خطيبي على التعجيل به ، فاذا اصر على هذا فانني عندئذ لا استطيع ان اقيم معك في مسكن واحد .

ورأت كاميليا اشباح اليأس تتزاحم في عيني نورما ، ومع هذه الاشباح رأت الفزع الرهيب ، ولمحت عضلات خديها وهي تتخاذل ، وجوانب فمها تتراخى ، وجسمها كله يوشك ان ينهار .

وقالت كاميليا لنفسها « يمكنني أن اجد غرفة في المدينة التالية اختبىء فيها منها حتى تيأس من العثور علي . آه ، يا الهي . كيف أوقعت نفسي في مأزق كهذا . ولكنني الان متعبة جدا ، واريد حماما ساخنا » .

وزمت نورما شفتيها بقوة واغمضت عينيها قليلا ا واحست بزفيف محرك السيارة كأنه دوي الطبول غامضة في راسها . ولكنها لم تلبث ان تمالكت نفسها ، ثم قالت لكاميليا في لهجة اعتذار :

ـ لعلك تشعرين بالخجل من مصاحبتي لك ، وانا لا الومك على هذا ، لاني لا أصلح للخدمة في المطاعم والمشارب ، ولكنني استطيع ان اتعلم فن التمريض اذا رأيت ان اتعلم ولسوف استذكر دروسي ليلا وانا اعمل بالخدمة في أحد المطاعم نهارا . وتأكدي اني سأنجح في هذا ، وانك لن تشعري بالخجل مني بعد ذلك . واعتقد انك لن تتعبي كثيرا في مساعدتي .

وشعرت كاميليا بنوبة غثيان في معدتها ، واذا هي تقول لنفسها في يأس :

« يا الهي الكبير ، لقد اوقعت نفسي في مأزق لا نجاة منه . فماذا اقول لها ؟ هل اكذب عليها مرة اخرى ؟ ام الافضل ان اصارح هذه الفتاة البريئة بحقيقة امري ، فأقول لها انني التقط رزقي بمصاحبة الرجال ، وبالوقوف عارية في بعض الاستعراضات المسرحية الخاصة ؟ انني لو صارحتها بهذا فربما أصدمها واصدم مبادئها في الفضيلة فترفض ان تكون صديقة لي . ولعل ان يكون هذا هو الحل الوحيد . ولكن لا ، ان الحل الوحيد هو ان اهرب منها في زحمة الطريق » .

وكانت نورما تقول عندئذ :
ــ انني اتمنى ان تكون لي مهنة لها احترامها مثل مهنتك .
وقالت كاميليا في يأس :
ــ اسمعي يا حبيبتي ، انني متعبة جدا بحيث اعجز عن التفكير السليم . لقد ظللت بضعة ايام وانا في حالة سفر. ولهذا ارجو ان نفكر في الامر بعد ان نستريح ، ثم ننظر كيف تسير الامور .
ــ نعم ، هذا احسن .
وتوقفت السيارة فجأة ، ونهض جون من مقعده ليتامل حفرة في الطريق المملوءة بالماء لا يعرف مدى عمقها ، انها قد تبلغ من العمق بحيث تختفي السيارة فيها تماما . ونظر بسرعة الى تمثال العذراء ثم همس لها :-« هل اغامر بالمرور فوق هذه الحفرة ؟ » وكانت العجلات الامامية عند حافة الحفر ، ومن ثم تراجع بالسيارة قليلا ، ثم اطلق لها العنان فاندفعت السيارة في الحفرة ، ثم خرجت منها سالمة .
ولما اشرق وجه الانتصار ، قال له العجوز برانت :
ــ مهلا ، انتظر حتى تبلغ السيارة الطريق الصاعد الى الهضبة
فلوى جون شفتيه وقال :
ــ ان من يسمعك يعتقد انك تتمنى ان تتعطل السيارة في الطريق لاي سبب .
ووصلت السيارة الى مكان سوي في الطريق بأعلى التل ، وخفت حدة المطر بعض الشيء ، ونظر جون الى تمثال العذراء المعلق فوق رأسه وقال باسما « لسوف ابر بوعدي واجتاز بالركاب هذا الطريق الوعر اذا كان ذلك ممكنا ، اما اذا .. »
ونظر جون الى صخور التلال المرتفعة على يمينه ، والى بعض الكهوف المحفورة في جوانبها بواسطة العوامل الطبيعية او البشرية ثم احس بالرعدة تسري في كيانه وقد خيل اليه ان هذه الكهوف ليست الا عيونا سوداء تنفذ الى اعماق نفسه وتستشف حقيقة مشاعره .
وانطلقت السيارة بأمان على الطريق الموحل المكسو بالحصباء ، ولولا هذه الحصباء لما سهل على السيارة الانطلاق بهذه السرعة ، وفجاة رأى جون امامه منخفضا في الطريق مليء بالماء والاوحال ، ولكنه لم يتوقف ، لان التوقف لا جدوى منه وانما زاد من السرعة وكاد يجتاز المنخفض بسلام ، وبلغت العجلات الامامية حافته البعيدة ولكن العجلات الخلفية غاصت بالاوحال وضغت جون على صمام البنزين

ليزيد من سرعة السيارة . ولكن العجلات كانت تزداد غوصا في الحفرتين اللتين صنعتهما في اوحال المنخفض ، كلما حاول جون ان يزيد من سرعة دورانها .

واخيرا استقرت السيارة على عمود المحاور « الدفرنسيال » فوق حافة المنخفض الامامية ، وتعطلت تماما عن الحركة .

واوقف جون المحرك وهبط منها ، ولكنه اختلس النظر الى بمبلز فرآه يحملق فيه مندهشا ، فادرك ان الفتى عرف ما كان ينبغي ان يفعل جون في مثل هذه الحالة ، عرف ان من البديهيات الا يزيد الانسان من سرعة دوران العجلات في مثل هذه الظروف ، لان السرعة تزيد من غوصها في الاوحال ..

والواقع ان جون ، وهو مستغرق في عمله ، كان قد نسي وجود بمبلز بالقرب منه ، ولكن حسنا ، انه لن يصدق بطبيعة الحال انه تعمد تعطيل السيارة في هذه البقعة النائية ، وحتى لو خطر بباله شيء كهذا ، فما هو الدليل ؟

واسرع فان برانت الى جون وهو يكاد يختنق من الغضب وقال له بصوت كالفحيح وقد اخذ يلوح بقبضة يده في وجهه :

— اذن فقد فعلتها واوقعت بنا هنا ؟ انا كنت آعرف انك ستفعل هذا بحق السماء . والان كيف ساحضر الى المحكمة غدا ؟ كيف ستخرجنا من هذا المازق ؟

فابعد جون يد العجوز عن وجهه ، وقال له آمرا :

— كفى صياحا ، وعد الى مقعدك ، والا فلن تزداد الامور الا سوءا .

وبعد ان ادار جون السيارة ، عاد الى الركاب وقال لهم :

— انني آسف ايها السادة ، وارى ان عليكم الانتظار هنا بعض الوقت ، وارجو ان تتذكروا بانكم انتم الذين اخترتم هذا الطريق .

فقال فان برانت :

— انني لم اوافقكم على اختيار هذا الطريق .

فصاح به جون بصوت راعد :

— انني لا اريد ان اسمع منك كلمة اخرى والا فقدت عقلي ، لاني على وشك ان افقده فعلا .

وادرك العجوز ان جون كان جادا في هذه المرة ، لا سيما حين رآه يقبض راحتيه بعنف وقد برزت عضلات ساعديه بوضوح .

وعاد جون يقول بصوت حاول ان يجعله هادئا :
ـ ان علي الان ان امضي الى اقرب تليفون لاستدعاء سيارة نجدة ، وسوف اطلب ايضا ارسال سيارة مأجورة تحملكم الى سان جوان دي لاكروز . ولن يستغرق هذا كله اكثر من ساعتين او ثلاث .
وهنا قال فان برانت بصوت هادىء :
ـ ان اقرب مكان مأهول يقع على مسافة اربعة اميال ، ويوجد على مسافة ميل واحد بيت آل هوكنز ، وهو بيت قديم مهجور منذ ان استولى بنك امريكا عليه ، وعلى المزرعة . ومن ثم عليك ان تمضي الى الطريق الزراعي العام ، واقرب منطقة منه تبعد عن هنا اربعة اميال .
فهز جون كتفيه ، وقال :
ـ اذا لم يكن مندوحة من الذهاب ، فيجب ان اذهب .
ثم اردف قائلا ، وهو ينظر الى السماء :
ـ وها هي ذي الامطار قد اوشكت ان تنقطع تماما .
فقال بمبلز وقد اخذته نوبة من المودة والاخلاص :
ـ دعني اذهب بدلا عنك يا مستر شيكو .
فضحك جون وقال :
ـ لا يا ، كيت ان هذا اليوم اجازتك ، ويجب ان تستمتع بها
ثم اردف قائلا للركاب :
ـ ان في مخزن السيارة صندوقا به مجموعة من الفطائر ، ويمكنكم اذا شعرتم بالجوع ان تأكلوا منها كما تشاءون . وكذلك توجد زجاجة ويسكي ومسدس في الخزانة الامامية . وقد ينفع المسدس اذا هاجمكم نمر او شيء من هذا القبيل .
وقالت كاميليا :
ـ الواقع انني اشعر بالجوع .
فقال جون وهو يسلم المفاتيح لبمبلز :
ـ احضر لها بعض الفطائر ، ولكن ترفق بنفسك يا ولدي فلا تأكل الكمية كلها . اما انتم ايها السادة فيمكنكم ان تبقوا في السيارة او تهبطوا منها وتستريحوا في بعض الكهوف هنا . بل يمكنكم ان توقدوا نارا اذا وجدتم بعض الخشب الجاف .
واستدار جون وسار بعض خطوات ، ثم عاد والتفت ولوح بيده للركاب ، ثم استأنف السير وراح يهبط من التل يمينا حتى وصل الى حافة

النهر الملتوي ، ثم سار عبر مزرعة قديمة مهجورة كانت رائحة النباتات الجافة والمتعطنة تشيع في جوها .

ورأى من بعيد بيت آل هوكنز الخالي المهجور ، فاسرع نحـــوه بخطوات واسعة ، وهناك وجد البيت متداعيا ، محطم الابواب والنوافذ ممزق الاوراق التي تكسو الجدران ، مليء بأكداس من الغبار والاتربة ؛ وبعد ان جاس في غرفاته قليلا مضى الى المخزن القريب منه ، انه مخزن الحاصلات الزراعية ، وكان ايضا خاليا الا من كومة من التبن في نهايته .

وفيما كان جون يتقدم نحو هذه الكومة ، والجرذان تفــر امامــه مذعورة في كل مكان ، اذ به يشعر فجاة بالتعب يتسلل الى كل جسده ؛ واذا هو يرقد على كومة التبن ثم يقول لنفسه :

ــ انني لم اعد شابا كما كنت . !

وتراخت عضلاته المتوترة ، واغمض عينيه ، وبدات انفاسه تنتظم واطلت الجرذان من جحورها وقد ادركت من انفاسه المنتظمة انه نام !

الفصل الثاني عشر

لحظات غرام

اخذ الركاب يشيعون جون بنظراتهم حتى اختفى تماما ، عندئذ قال المستر بريكارد :

— ترى كم سيستغرق من الوقت حتى ياتي لنا بسيارة اخرى ؟

ففرك فان برانت يديه وهو يعتدل في جلسته وقال :

— لا اقل من ثلاث ساعات .

وقالت المسز بريكارد لزوجها في لهجة عتاب :

— كل هذا بسبب اصرارك على السفر بواسطة هذه السيارات العجفاء . لقد كان ينبغي ان نركب القطار الفاخر من شيكاغو الى لوس انجلوس رأسا .

ثم اردفت قائلة وكانما ارادت ان توضح للجميع السر في سفرها مع زوجها عن هذا الطريق :

— ولكنك اردت ان تتخذ هذا الطريق لكي تتفرج على اكبر عدد من الاماكن والاشخاص كما تقول ، فهل شبعت الان فرجة ؟

— لا داعي لهذا العتاب الان يا فتاتي الصغيرة !

فردت قائلة في غضب مفاجيء ادهش ابنتها ميلدرد :

ــ هكذا انت دائما .. لا تطيق ان يعاتبك احد على اخطائك . انك انت الذي دبرت امر هذه الرحلة التي سوف تكلفك اكثر من خمسة آلاف دولار بينما تعرف اني اكاد اموت شوقا الى بيت نبات زجاجي في الحديقة لانبات زهور الاوركيد .

ــ وهكذا انت دائما ايضا ، لا تفكرين الا في رغباتك ونزواتك ، انك تفضلين بيت نبات زجاجي على ان استمتع بأول اجازة طويلة انالها منذ سنوات و ...

وهنا تدخلت ميلدرد بين ابويها وهي تكاد تنفجر من فرط الشعور بالعـــار :

ــ كفى يا ابي ، وانت يا اماه ، هذا لا يليق بنا امام الغرباء ..

فهتف بها والدها قائلا :

ــ لا تتدخلي فيما لا يعنيك يا ميلدرد ، ولعلك لا تعرفين انني لم افكر في هذه الرحلة الا اكراما لك . اما انا ، كنت افضل ان استمتع باجازتي في الراحة ولعب الجولف .

ونهضت ميلدرد واقفة وقالت لامها بعنف حين رأتها تهم بالحديث في غضب :

ــ اماه كفى شجارا . مـــاذا دهاك انت وابي ؟ ان هذه أول مـــرة اسمعكما تتشاجران فيها خارج غرفة النوم . اذا لم تقفا عن هذا فسوف اغادر السيارة لاقوم بجولة في المنطقة .

فقالت لها أمها :

ــ اذهبي ، اذهبي كما تريدين ، انك لا تفهمين شيئا .

فتناولت ميلدرد معطفها الواقي من المطر وارتدته وقالت :

ــ انني ذاهبة الى الطريق العام .

فقال فان برانت :

ــ انه يبعد اربعة اميال عن هذا المكان .

وتناولت المسز بريكارد منديلها المعطر ووضعته على انفها وفمهـــا بينما قالت ميلدرد لها :

ــ تمالكي أعصابك يا اماه ، انني اعرف ماذا ستفعلين بعـــد قليل سوف تشكين من ذلك الصداع الرهيب وتعاقبيننا جميعا بالامك واوجاعك .. صداعك هذا المزعوم !

وكان بمبلز ينظر مدهوشا الى ما يجري امامه ، اما المسز بريكارد

فقد قالت في استنكار وهي تحملق بفزع الى ابنتها :

ــ ويحي ! اتعتقدين أنني ادعي الاصابة بذلك الصداع ؟

ــ لقد بدأت اعتقد هذا ، لان نوبات هذا الصداع لا تأتي ، كما لاحظت ، الا في الاوقات المناسبة .. المناسبة لك !

فصاح المستر بريكارد قائلا :

ــ ميلدرد ، كفى هذا .

ــ انني ذاهبة .

ــ وانا امنعك ؟ !

ــ لا ، انني قد بلغت سن الرشد ولا يستطيع احد ان يتحكم في تصرفاتي .

ثم هبطت من السيارة ، وسارت بخطوات سريعة الى منحدر التل ، ولم تلبث ان اختفت .

وصاحت المسز بريكارد قائلة في جزع :

ــ اليوت ، أسرع وراءها ، لا تدعها تمضي بمفردها ، ربما ..

فربت المستر بريكارد يد زوجته وقال مترفعا :

ــ لا تخافي ، ان ميلدرد تعرف كيف تتصرف كما ينبغي ، ويبدو ان اعصابنا جميعا متوترة الى حد كبير ..

فتأوهت المسز بريكارد وقالت :

ــ أوه ، اليوت ، لو أني فقط استطيع ان ارقد قليلا . انها تعتقد أنني أزعم الاصابة بالصداع ، انني على استعداد ان اقتل نفسي اذا كان صداعي مزيفا . اوه اليوت ، الا من مكان استطيع ان ارقد فيه قليلا .

وهنا قال بمبلز :

ــ ان لدينا في مخزن السيارة مجموعة من المشمعات الكبيرة التي نستخدمها احيانا في تغطية البضائع فوق سقف السيارة ، ومن الممكن ان تأخذي واحدا منها وتفرشيه في احد الكهوف وترقدين عليه في أمان .

فقال المستر بريكارد هذه فكرة مدهشة .

فقالت المسز بريكارد بلهجة احتجاج :

ــ أتريدني ان ارقد على أرض رطبة قديمة ؟ لا لااستطيع .

فقال زوجها :

لا يا فتاتي الصغيرة الحبيبة ، لسوف ترقدين على المشمع وسوف اعد لك سريرا لطيفا صغيرا ، يناسب صغيرتى اللطيفة ، أتعرفين ماذا

سأفعل ؟ !

فلما رفعت عينيها اليه متسائلة ، أردف قائلا :

ــ سأطوي معطفك الفراء واجعله كالوسادة تحت راسك ، ثم أغطيك بمعطفي الكبير الواقي من المطر .. انتظري لحظة حتى اعد لك هذا الفراش .

وقال بمبلز :

ــ لقد طلب المستر شيكو ان اخرج صندوق الفطائر ، انها فطائر طازجة وشهية جداً ، وفي مقدور كل منكم ان يأكل ما يشاء منها ، وانا شخصيا لا أجد مانعا الان في أكل فطيرة كاملة .

ــ فقال له المستر بريكارد لا بأس ولكن هلم نخرج المشمع الان ، ثم تعاون الاثنان على حمل صندوق الفطائر من مخزن السيارة الخلفي وعلى اخراج مشمع كبير . وفي خلال هذا التفت وقال ارنست هورتون :

ــ لسوف امضي وافحص هذه الكهوف .

وهبط من السيارة وتبعه فان برانت ، وكانت المسز بريكارد معتمدة براسها على مسند المقعد ، وقد اغمضت عينيها وراحت تفكر ــ بأستنكار شديد ــ في هذا الخلاف الذي نشب بينها وبين زوجها أمام الغرباء . ولكنها ، مع هذا ، أحست بشيء من الراحة ، لانها استطاعت اخيرا ان تصارح زوجها برغبتها في انشاء بيت نبات زجاجي ، كالذي أنشأته صديقتها ايلين ، حيث تستطيع انبات زهور الاوركيد النادرة ، التي راحت تتعلم طريقة انباتها سرا .

ولكن الذي يقلقها الان انها تركت هذه الرغبة تفلت من لسانها في لحظة غضب ، وربما يؤدي هذا الى ان يتأخر تحقيق املها ستة اشهر .

وكانت تسمع وراءها نورما وكاميليا تتبادلان الحديث بصوت خافت وهما تحسبانها نائمة . وكانت نورما تقول لكاميليا :

ــ ان ما يدهشني منك يا عزيزتي كاميليا هو قدرتك على وقف كل شخص يضايقك عند حده !

ــ ماذا تعنين ؟

ــ أعني بمبلز مثلا ، لقد رايت كيف أوقفته عند حده بمجرد ان بدا يضايقك ، والعجيب في الامر انك تفعلين هذا ببساطة لا تجرح كبرياء احد ثم هناك صاحبنا الاخر . مندوب الشركة ، انك تعاملينه ببراعة كأنه طفل صغير . انني اتمنى لو اعرف كيف تفعلين هذا .

وشعرت كاميليا بالسرور ، وادركت انه من الممتع ان يكون الانسان موضع اعجاب الغير ، حتى لو كان هــذا الغير حجر عثرة في الطريق .

وتساءلت في نفسها : ترى هل اخبرنا الان انني لست ممرضة ، وانما انا فتاة أستعرض جمال جسمي في حفلات خاصة أمام جمهور من عجائز الرجال وانني في اكثر الاحيان التقط رزقي بطريق ابعدما يكون عن الشرف !لا ، لا ، انني لا اريد ان اصدم هذه الفتاة الغريرة وافقد اعجابها الشديد بي .

وعادت نورما تقول :

— ومما يضاعف اعجابي بك انك لا تثورين ولا تسبين او تسخطين ، ومع ذلك لا يجرؤ احد ان يلمسك باصبعه .

فضحكت كاميليا وقالت :

انني لم الاحظ هذا كله عن نفسي ، ولعله ان يكون جزءا من طبيعتي الا انني اعرف صديقة هي اقدر مني في معاملة الرجال .. انها تستطيع ان تظفر من اي رجل باي شيء يعجبها .. ولكنها ، في النهاية تدفع الثمن !

فحملقت نورما في اندهاش وقالت :

— ثمن !اي ثمن ؟

— ثمن ما تحصل عليه يا عزيزتي . فليس في هذا الوجود شيء يعطى بلا مقابل ، ولكن صديقتي هذه يحلو لها ان تتدلل على صاحبهــا وتغريه وتثيره حتى يبلغ حد الانفجار ثم اذا هي تستسلم له بوداعة .

واحست المسز بريكارد في تلك اللحظة ، لاول مرة في حياتها ، بدبيب الرغبات الجنسية يسري في عروقها ، فزادت من اغماض عينيهــا وقالت لنفسها :

« يالهما من فتاتين سوقيتين ! لا شك انهما مــن فصيلة الحيوانات البهيمية ، ترى أهؤلاء هم الاشخاص الذين اراد اليوت ان يتعرف بهم أثناء الرحلة »

وفجاة اخذت تكتب في ذهنها الخطاب الثالث الى صديقتها ايلين تصف لها ما حدث وانها سمعت حديثا من فتاتين سوقيتين لا ينبغي ذكره هــذا الخطاب .



سارت ميلدرد بخطوات سريعة في نفس الطريق الذي سار فيه جون

ولكنها لم تكن تدرك هذه الحقيقة في اول الامر ، اذ كانت مشغولة بأفكارها التي كانت تتزاحم في راسها في تلك اللحظة .

لقد شعرت مرة اخرى بهذا السأم العميق الذي طالما اثقل عليها بسبب هذه الحياة الرتيبة مع والديها .. لشد ما تهفو الى لون اخر من الحياة ، انها تريد ان تتزوج ، وان ترضي بالزواج هذه العاطفة الحادة المشبوبةِ التي طالما الهبت دماءها والتي كثيرا ما جعلتها تشعر بالنفور من نفسها . ولكنها حتى الان لم تجد الزوج المناسب الذي يرضيها . ثم ها هي ذي الرحلة الى المكسيك ؟ وماذا بعدها ؟ ماذا لو انها الان سارت حتى وصلت الى الطريق العام ، ومنه تستقل سيارة الى احدى المدن الصغيرة حيث تختفي فترة من الوقت . ان احدا لن يستطيع ان يرغمها على العودة حتى والديها ، لانها تجاوزت الواحدة والعشرين من عمرها ، وقد اصبح لها ، من الوجهة القانونية ، حرية التصرف بنفسها في حدود القوانين والتقاليد والعرف .

انها لا تنكر ان اباها كان كريما معها على طريقته ، ولكن اباها قد نسي ان في مقدورها مثلا أن تكتسب رزقها بالعمل ، وان في مقدورها ايضا ان تواصل دراستها الجامعية حتى تتخرج . ثم .. ثم ماذا بعد ذلك ؟

وتناولت نظارتها ، ومسحت قطرات ماء المطر عنها بمنديلها ، ثم اعادتها وراحت تنظر الى الارض الموحلة حتى تتجنب الخوض في احدى الحفر المتناثرة حولها ، وعندئذ لمحت آثار اقدام امامها ، ولم تلبث ان ادركت ، من طبيعتها ، انها اقدام جون ، سائق السيارة . وهنا تحولت كل افكارها اليه وهي تحرص على المسير وراء هذه الاثار .

ورفعت عينيها الى الافق ، ولمحت البيت المهجور على مسافة قريبة ورأت آثار الاقدام تتجه اليه ، فمضت نحوه وقد رفعت على شفتيها ابتسامة غامضة .

وعندما اقتربت من البيت ، ادركت من اتجاه الاثار ان جون شيكو لم يخرج من منطقة البيت المهجور ، ومن ثم تساءلت في نفسها : ماذا يفعل وكان المفروض انه ماض الى الطريق العام لاستدعاء سيارة نجدة وارسال سيارة ماجورة لنقل الجميع الى سان جوان دي لاكروز !

ومضت ميلدرد تجوس خلال غرفات البيت المهجور ، حتى اذا ايقنت ان جون ليس في اي حجرة به ، خطر ببالها الذهاب الى مخزن المحصولات ،

فلما سارت في اتجاهه ، لاحظت آثار اقدام جــون مطبوعة على الطين في نفس الاتجاه ، ومضت الى باب المخزن المفتوح وهي تحس بالدماء تسري في عروقها ملتهبة ، ثم وقفت عند الباب وراحت ترهف السمع ، وخطــر لها عندما لم تسمع صوتا ، ان تنادي عليه ، ولكنها آثرت ان تفاجئه ، فسارت ببطء حتى وصلت الى كومة التبن في نهاية المخزن ، وكانت الجرذان التي الفت وجود جون ، قد اخذت مرة اخرى تفر مذعورة الى جحورها امام هذا الوافد الجديد . ورأت جون راقدا على ظهره وقد عقد يديه تحت رأسه ، وأغمض عينيه ، وبدا من رتابة انفاسه انه مستغرق في النوم .

وقالت لنفسها :

ــ يمكنني ان أعود ادراجي الى السيارة الان ، فليس هنا من يبقيني رغما عني ، واذا بقيت فسوف اكون أنا المسؤولة عما يحدث ، وينبغي ان اتذكر هذا جيدا . انه الان انسان في حاله !ولكن ، ما هذا اللغو الفارغ ؟ !

ورفعت النظارة عن عينيها ووضعتها في جيبها ، اذ كان في مقدورها ان ترى جون بوضوح على هذه المسافة القصيرة ، وتقدمت ببطء وحذر نحو كومة التبن ، ثم ثنت ساقيها تحتها وجلست تحملق النظر اليه ، وتتأمل وجهه الاسمر القوي ، وصدره العريض التي كانت عضلاته تبدو بوضوح تحت السترة المبلله الملتصقة به ، ثم قالت لنفسها :

ــ يبدو انه شعر بالتعب ، فرقد هنا ليستريح برهة ، ومن ثم لا ينبغي ان أوقظه .

وفكرت بذهنها الى ركاب السيارة ــ ماذا لو انها لم تعد مع جون اليهم ؟ ماذا سيفعلون عندئذ ؟ ان أمها ستقع مغشيا عليها ، وان اباهــا سيبرق الى حكام الولايات في هذه المنطقة . وربما لجأ الى ادارة المباحــث العامة ، ولا شك ان الدنيا ستقوم وتقعد بسبب اختفائها مع سائق سيارة عامة ، ولكن ماذا في وسعهم جميعا ان يفعلوا ؟ انهم حين يعثرون عليها سوف تقول لهم «ما شأنكم بي » ، انني في الواحدة والعشرين من عمري ومن حقي ان اتصرف بحياتي كما أشاء ، ثم كيف يكون الحال لو انها صحبته الى المكسيك ؟ .. ان الرحلة عندئذ ستكون خالية تماما من كل اسباب الضيق والسأم !

وعادت ميلدرد تطوف بنظراتها على جسم جون كله ، حتى اذا وقعت عيناها على وجهه ، فوجئت به ينظر اليها بهدوء . وقد بدت عيناه متألقتين لا اثر للنوم فيهما . اي انه على الارجح لم يكن نائما حين دخلت المخزن !

ووجدت نفسها تقول وكأنما تشرح له موقفها :
ــ كنت في حاجة الى ان اتمشى قليلا بعد طول الجلوس في السيارة . وقد خطر لي في اول الامر ان امضي الى الطريــق الزراعي العام لالتقي باحدى السيارات الخاصة او العامة ، ولكنني حين لمحت هذا البيت القديم المهجور ، عرجت عليه بدافع من الفضول . وانا بطبيعتي احب الاماكــن القديمــة .

ولم يجب جون عليها بشيء ، وانما ظل يجيل بنظراته على وجهها ، ثم راح ببطء شديد يستدير قليلا ليرقد على جانبه فيمواجهتها وقد اعتمــد براسه على يده .

ورأت بريقا خاطفا يومض في عينيه ، واحست انه ليس ثمة مهرب من نطاق نظراته الآسرة التي ذكرتها بما قرأت عن نظرة الافعى للطائر الصغير.

وفجأة سألتــه قائلــة :
ــ ماذا تفعل هنــا ؟
فانفرجت شفتاه قليلا ثم سألها بدوره :
ــ وانت ، ماذا تفعلين هنــا ؟
ــ لقد قلت لك السبب . كنت في حاجة الى رياضة المشي . الم أقل هــذا ؟
ــ اجــل ، قلــت .
ــ والان ، ماذا تفعل انت هنا ؟
فهز كتفيه وقال في غير مبالاة :
ــ انا ، اوه ، لقد جلست لاستريح ، ويبدو ان النوم غلبني علــى امري ، لانني لم انم امس كما ينبغي .

ورأت ان عليها ان تستمر في الحديــث اذا ارادت ان تجعل الموقف بينهمــا طبيعيــا :
ــ نعم ، اذكر . ولكنني مندهشة منك ! لاني ارى انك لست بالرجل الذي يكتفي بقضاء حياته في هذه المنطقة المنعزلة ، والذي تمر ايامه متشابهة في قيادة سيارة عامة ذهابا وايابا ، بلا انقطاع . ان أمكانك الحقيقي يجب ان يكون في مجال اخر .

فقال باسما ليجاريها :
ــ مثــل مــاذا ؟
فقالت في شيء من الاضطــراب :

ـــ اتعرف ان فكرة طريفة طرأت على ذهني وانا اسير الى هنا ؟ لقد ظننت انك تركت السيارة وانطلقت الى حياة اخرى جديدة ، في .. في بلاد اخرى مثـــل المكسيـــك .

فرمقها بنظرة طويلة حادة وقال :

ـــ هل فقدت الصواب ؟ ما الذي جعلك تفكرين في شيء كهذا ؟

ـــ هذا ما خطر لي فقط حين شعرت ان حياتك هنا لا بد وان تكون مليئة بالضجر والركود بعد ان عشت جزءا منها في بلاد المكسيك .

ـــ هل عشت في المكسيك من قبل ؟

ـــ لا

ـــ اذن فانت لا تعرفين مدى ما في الحياة من سأم وركود .

ـــ أحقـــــا ؟!

ورفع راسه قليلا ثم قال :

ـــ ما رايك فيما قد يحدث للذين تركناهم في السيارة ؟

ـــ أوه ، انهم سيدبرون امورهم بطريقة ما . والطريق الزراعـــي العام ليس بعيدا عنهم . وهم على الاقل لن يموتوا جوعا .

ـــ وما رأيك فيما قد يحدث لزوجتي ؟

فقالت في ارتباك :

ـــ اوه ، لقد فاتني التفكير في امرها .

ـــ لا بل فكرت في أمرها . انك لا تحبينها ، وسأقول بصراحة ، انـــه لا يوجد من يحبهـــا غيري .

ثم ابتسم وقال :

ـــ ومن الاسباب التي تجعلني احبها انه لا يوجد احد يحبها ابدا ثم قال لنفسه « يا لك من كذاب كبير ! »

وقالت ميلدرد :

ـــ لقد كانت مجرد خاطرة حمقاء ! بل لقد فكرت ايضا في ان اهرب انا ايضا من حياتي . فكرت في الاختفاء والحياة بمفـــردي وعدم رؤيـــة اي شخص من الذين سبق ان عرفتهم .

ثم نهضت قليلا وظلت معتمدة بجسمها على ركبتيها حتى جلست علـــى الجانب الاخر ، ونظر جون الى ركبتيها العاريتين ، ثم مد يده وجذب طرف الثوب عليها . وجفلت هي عندما رأت يده تمتـــد ، ثم لم تلبث ان هدأت وتراخـــت اعصابهـــا .

وقالــت لــه :

ـ انني لا اريد منك ان تظن انني تبعتك الى هنا .

ـ انك لا تريدين ان اظن هذا ، ولكنك في قرارة نفسك تريدين .

ـ حسنا ! وماذا لو اني اريد ؟

فمد يده مرة اخرى واراحها على ركبتها ، وجعل الدماء الحارة تشتعل في وجهها ، ثم اذا هي تقول وقد جف ريقها :

ـ لا تظن ان الامر يهمك انت ، وانما يهمني انا . بل انني لا احبك ، فان لك رائحة كرائحة الخراف !

وتهدج صوتها قليلا وهي تستطرد قائلة :

ـ انك لا تعرف نوع الحياة التي احياها ! انني اعيش في عزلة ، انني لا استطيع ان اقول لأحد ، ايا كان ، اي شيء .

واردفت قائلة وهي تشعر انها غارقة في محيط نظراته المتوهجة :

ـ وانا ربما لا اكون كغيري من الناس . فمن اين لي ان اعلم ؟ ولكن لست انت الذي اريد ، بل انني لا اشعر بأي حب لك .

فقال جون بهدوء :

ـ اسمعي . انك تعذبين نفسك كثيرا بهذا الجدل الاجوف .. اليس كذلــك ؟

فسألته قائلة على حين غرة :

ـ ماذا تنوي ان تفعل لاولئك الذين تركناهم في السيارة ، الن تستدعي لهم سيارة انقــاذ ؟

فضغط على ركبتها بيده برهة ، ثم رفعها وقال :

ـ لسوف اعود الى السيارة واخرجها من الحفرة

ـ اذن لماذا جئت الى هذا المكان ؟

ـ هذه مشيئة القدر . فلو لم يكن هذا المخزن قائما هنا ، لكنــت الان في طريقي الى مدينة سان دييجو على الحدود .

ـ ومتى ستعود السيارة ؟

ـ في اقرب وقــت .

ونظرت الى يده المعتمد بها على ارضية المخزن ، ثم قالت له :

ـ الن تنوي ان تراودني عن نفسي ؟

فاتسعت الابتسامة على شفتيه ، وازداد البريق توهجا في عينيــه ، ثم قــــال :

ـ نعم ، اظن هذا ، ولكن بعد ان تفرغي من هذا الجدل الاجوف الذي ديرنه مع نفسك . وانت الان في مفترق الطرق ، ويمكنك ان تقرري اي طريق تختارين ، وسوف اكون تحت امرك في الطريق الذي يقع عليه اختيارك .

ـ الا .. الا تشتهيني ؟

ـ انني اشتهيك بكل تأكيد .

ـ اذن فأنت لا تريد ان تتعب نفسك في مراودتي عن نفسي لانك واثق بأني سأقع بين ذراعيك في النهاية بلا اي مجهود !

ـ اوه ، ارجو الا تحشريني في جدلك مع نفسك . انني اكبر منك سنا ، وانا اشتهيك تماما واتمنى ان تكوني بين ذراعي حالا . ولكنني تعودت بطبعي على الصبر ، ولا سيما في هذه الامور ، لانه كلما طال الصبر عليها ازدادت حلاوة .

فلوت شفتيها وقالت :

ـ كان يجب ان اكرهك جدا ، لانك تحرمني من كل كبرياء ، انك لا تتيح لي الفرصة لكي اشعر بأنني قاومتك ، ولو قليلا ، على الاقل

ـ لقد ظننت اني أحترم كبرياءك عندما تركت لك حرية الاختيار .

ـ هذا تفكير عقيم .

ـ عجبا ! ان النساء في بلادي هكذا ايضا . لا يستسلمن الا بعد الرجاء او المقاومة .

ـ وهل انت هكذا دائما مع جميع النساء ؟

فهز كتفيه وقال :

ـ لا . وانما معك الان فقط . لقد قلت انك جئت الى هنا لشيء اخر وانك لا تحبينني ولا تريدينني .

فنظرت الى اصابع يديها وقالت في اندهاش :

ـ ما اعجب هذا ؟ انني فتاة من اللاتي يقال عنهن مثقفات ، عصريات ، مطالبات بالمساواة مع الرجال ، وقد قرأت كثيرا ، وانا لست عذراء ، كمعظم الفتيات في هذه البلاد ، ومع ذلك فلا استطيع ان اكون البادئة في الغزل معك .

ثم أبتسمت وقالت بسرعة :

الا تستطيع ان تجعلني اقاوم ولو قليلا ؟

فمد ذراعيه ، والقت بنفسها بينهما وهي تقول :

ـ هل ستحتقرني فيما بعد ام ستسخر مني ؟
فهز كتفيه وقال :
ـ وماذا يهمك ؟!
فتمتمت قائلة :
ـ ان هذا الامر يهمني جدا ، لاني لا احب أن اكون موضع سخرية او احتقار من اسلمه نفسي بهذه السهولة .
ـ اوه .. انك تتحدثين اكثر مما ينبغي .
ـ هل .. هل سنهرب معا .. ربما الى المكسيك ؟
ـ لا . والان ، دعيني أذق طعم شفتيك .

الفصل الثالث عشر

الثوب الممزق

بعد ان اخرج بمبلز والمستر بريكارد صندوق الفطائر واحد المشمعات من المخزن ، أراد الشاب ان يبدأ اولا عملية الاكل ، ولكن بريكارد قال له :

— يجب اولا أن اعد المكان المناسب لكي تستريح زوجتي .

وحملا معا المشمع الى احد الكهوف . وبعد ان اطمأن الى نظافة المكان ، رأى فان برانت وارنست هورتون يدخلانه ، فقال لهما معتذرا :

— لسوف ترقد هنا زوجتي لتستريح ، واعتقد ان الكهفين الاخرين لا يقلان عن هذا اتساعا ونظافة .

فابتسم ارنست وقال :

— أن الانسان يستطيع ان يعيش هنا اسابيع اذا وجد ما يأكل .

فقال فان برانت :

— عش انت هنا ما تشاء ، اما أنا ، فسوف اسير الى الطريق العام في الصباح الباكر اذا لم يعد ذلك السائق اللعين في الوقت المناسب . ان لدي اعمالا هامة يجب ان انجزها غدا .

وقال بمبلز :

— مار ايكم ايها السادة في فطيرتين نقتسمهما فيما بيننا ؟

— ما رايكم ايها السادة في فطيرتين نقتسمهما فيما بيننا ؟

فقال ارنست هورتون :

— هذه فكرة سليمة جدا .

— اي نوع تحب ؟

— فطيرة من النوع المحشو بالمربى اذا امكن .

وعاد المستر بريكارد الى السيارة حيث وجد زوجته لا تزال مغمضة عينيها ، فقال لها :

ــ لقد اعددت لك مرقدا طيبا ارجو ان تستريحي فيه .

ففتحت عينيها وتلفتت حولها في شيء من الدهشة ، فقال لها :

ــ هل كنت نائمة ! انني آسف . ما كان ينبغي ان ازعجك .

ــ لا لا يا عزيزي ، انني بخير .

وساعدها على الهبوط من السيارة في رفق جعلها تقول معتذرة :

ــ انني آسفة يا عزيزي على ما بدر مني !

ــ لا عليك يا فتاتي الصغيرة ، لقد كنت فقط متعبة متوترة الاعصاب. وانا لا اعرف انك لم تكوني تعنين كلمة واحدة مما قلت .

وعندما سار معها نحو الكهف ، قال :

ــ لسوف أقدم لك عشاء فاخرا مع الشمبانيــــا في مطعم رومانوف الفاخــر بهوليوود .

وراحت كلمات الرسالة الرابعة التــي ستكتبها لصديقتها ايلــين تتزاحم في ذهنها : « وفي هوليوود ، دعاني اليوت الى عشاء فاخــر في مطعم رومانوف الذي يتردد عليه اشهر نجوم السينما .. فهل تعلمين من كانــت على المائدة المجاورة ، انها الكوكب .. »

وفي داخل الكهف ، تلفتت المسز بريكارد حولها بعد ان اعتادت عيناها على الظلام ، ثم قالت قبل أن ترقد على الفراش الذي اعده لها زوجها :

ــ هل انت واثق بأنه لا توجد فيه افاع أو عناكب ؟!

ــ لا لا يا عزيزتي ، لقد تأكدت من هذا ، اطمئني . والان ارقــدي وسوف اضع عليك معطفي الكبير .

ولما اطاعتــه ، قــال :

ــ والان كيف حال فتاتي الصغيرة ؟

ــ على خير ما يــرام .

ــ سأتركك الان لتستريحي ، ولن يزعجك احد بالدخول لاني لمحــت للاخرين بأن هناك كهوفا اخرى يمكنهم الاستراحة فيها اذا شاءوا . واذا اردت شيئا فيمكنك أن تنادي علي . هل اتى لك بقطعة فطير ؟

ــ لا ، ليس الان ، شكرا .

وغادر المستر بريكارد الكهف حيث رأى ارنست هورتون جالسا في الجانب الاخر من التل ، الجانب المطل على الوادي ، وكان مدخل الكهف الثالث فوق رأسه مباشرة ، وفيما كان المستر بريكارد يقترب منه ، تنــاول ارنست جانبا من الصحف التي كان يفترشها تحته ، واعدها لجلوس بريكارد بجانبه وهو يقول له باسما :

ــ ان هذه الصحف مفيدة جدا ، يمكنك ان تفعل بها كل شيء الا ان تقــرأها .

وضحك المستر بريكارد ، وجلس بجانب هورتون ، وراح يتبادل معه الحديث الذي لم يستمر غير لحظات معدودة نهض بعدها هورتون لينصرف الى مكان اخر ، وهنا قال له بريكارد :

ــ يبدو أنك متوتر الاعصاب يا مستر هورتون .

فأرسل ارنست ضحكة جافة وقال :

ــ ومن منا هادىء الاعصاب ؟ اننا جميعا يا سيدي في حالة عصبية سيئة رغم محاولاتنا لكي نبدو هادئين طبيعيين في تصرفاتنا .

وراح بريكارد يشيع الشاب بنظراته وهو يقول لنفسه في اسف :

ــ يبدو ان الحرب تركت طابعها على اعصاب هذا الشاب الموهوب

ثم وجد نفسه يفكر فجأة في الشقراء الفاتنة كاميليا : انه موقن بانه سبــق ان رآها من قبل . ولكن أين ؟ لو انه فقط استطاع ان ينفرد بها لحظات ، اذن لعرف أين ومتى رآها من قبل . واكثر من هذا انه واثق بأنه لم يرها فقط ، بل يذكر أن رؤيته لها قد اشعلت النــار في دمائــه ، ولكــن متى .. وايــن ؟

ونظر الى السيارة المعطلة حيث لا يزال بها الفتاتان وبمبلز ، واخيرا نهض ، وسار نحوها تحت مطر كان يتساقط رذاذا خفيفا جدا ، وكانــت السماء قد اوشكت أن تصفو تماما ، واشعة الشمس قد اخذت تتسلل من وراء ندف السحاب المتخلفة ، وصعد الى السيارة حيث رأى فان برانــت راقداً على المقعد الخلفي الممتد بعرض السيارة كلها ، وكان يبدو عليه انه مستغرق في النوم . وكان بمبلز والفتاتان يتحادثــــون في خفوت حتى لا يزعجــوه .

وقال بمبلز عندما دخل بريكارد :

ــ ان ما اريده من الزوجة هو الاخلاص .

فسألته كاميليا قائلة :

ــ ماذا عنك ؟ هل ستكون مخلصا انت ايضا ؟

ــ بالتأكيد ، اذا كانت من النوع الذي يعجبني ، فسوف اكون مخلصا لها طبعا .

ــ واذا لم تكن ؟ !

ــ آه ، عندئذ اجعلها تندم وتدرك ان الخيانة لعبة يمكن ان يؤديهــا اثنان ، كما فعل كاري جرانت في ذلك الفيلم ..

وكان ثمة صحن حلوى من الورق المقوى موضوعا بجانب بمبلز ، ولم يبق فيه غير ربع فطيرة ، وكان الغلام جالسا على مقعد أمام الفتاتين ومستديرا اليهما بجذعه الاعلى ، بمرفقه على مسند المقعد .

ونظر الجميع في وقت واحد الى المستر بريكارد حين قال فجاة :

— هل تسمحون لي بالجلوس معكم ؟

فقال بمبلز :

— أوه ، بالتأكيد،تفضل بالجلوس . ما رايك في هذه القطعة الممتازة من الفطير ؟

وبعد أن قدم اليه ما تبقى من الفطيرة ، قالت كاميليا لبمبلز :

— وهل عثرت على فتاة احلامك الان ؟

— نعم ، تقريبا ، ولكنها .. ولكنها غبية بعض الشيء .

— وهل هي مخلصة لك ؟

— بكل تاكيد .

— كيف تعرف ؟

— أوه ، انني لم ، اعني ، انني متاكد ، وهذا يكفي .

فقال بريكارد مجاريا له في الحديث :

— اعتقد انك ستتزوج في وقت قريب ، وستستقل بعمل خاص .

— لا ، ليس الان انني ادرس بالمراسلة هندسة الراديو ، واعتقد ان النجاح في هذا النوع من الهندسة مضمون . ان واحدا من الذين درسوها ينال الان خمسة وسبعين دولارا في الاسبوع .

— احقا ؟

وقالت كاميليا :

— ما هو الوقت الذي تعتقد انه مناسب لزواجك ؟

— انه ليس قريبا على كل حال ، فان على الواحد منا ان يرى بعض الشيء من هذا العالم قبل ان يستقر . يجب ان يكتسب بعض التجارب . وربما اشتغلت في احدى السفن مهندسا للراديو والرادار .

وساله المستر بريكارد قائلا :

— ومتى ستفرغ من هذه الدراسة ؟

— أوه، لسوف أبداها قريبا ، لقد اعددت كل شيء ، وملأت الاستمارات ، وادخرت قيمة القسط الاول ونجحت في الاختبار لقد قالوا لي انني موهوب ...

وكانت عينا كاميليا تنمان عن التعب والملل ، وكان بريكارد يختلس

النظر اليها من وراء نظارته وهو مطمئن الى انها لن تفطن اليه . وبعد ان تأمل وجهها الجذاب وصدرها النافر ، احس كأنها نوع من العطر المثير الذي يفعم النفس بالانفعال واللهفة والشعور بالجوع الى الانثى.ورأى ان من النادر ان يلتقي انسان بفتاة مــن هــذا النوع الذي يجمع بين الجمال الباهر ، والجاذبية المثيرة ، والوداعة الاسرة .

وفجأة سمع نفسه يقول وهو لا يكاد يشعر انه بدأ الحديث :

ــ مس أوكس ، لقد كنت افكر ، اعني انه خطر لي انك قد تريدين ان تسمعي عن فكرة عملية ربما تفيدك . انني مدير مؤسسة كبيرة ، واعتقد ان صاحبتك لن تجد مانعا في ان اتحدث معك على انفراد بضع لحظات بشأن هذه الفكرة العملية . فهل تسمحين بالجلوس معي ، هناك على حافة التل ؟ ان هناك بعض الصحف التي يمكننا الجلوس عليها .

وكان بريكارد مندهشا لحديثه هذا ، اما كاميليا فقد قالت لنفسهــا « اخيرا استسلم المسكين لنزواته ؟ »

وهبط المستر بريكارد من السيارة اولا ، وراح في شهامة يساعــد كاميليا على النزول ، وسار معها الى الصحف التي كان هورتون قد بسطها على حافة التل .

وبعد ان جلست كاميليا وهي حريصة ان لا يبين من ساقيها شيء ، جلس بريكارد بجانبها ، وتناول نظارته وراح يمسحها ببطء ثم قال :

ــ انني كنت افكر ... اعني ان رجلا في مثل مركزي يجب ان يكون بعيد النظر ، وأن يقدر لكل شيء موضعه مقدما .

وقالت كاميليا لنفسها في ضجر « ارجو آن يفرغ من هذا اللف والدوران بسرعة ، لان الارض من تحتي صلبة متعبة »

واستطرد المستر بريكارد يقول :

ــ والمعروف الآن آن اهم ما تحتاج اليه المؤسسات الناجحة ، هــي الطاقة البشرية الجيدة . آن في مقدورنا الحصول على الصلب الجيد .. وعلى المطاط الممتاز في اي وقت ، ولكن العقول والمواهب والطمــوح .. انها طاقات من العسير الحصول عليها في اي وقت او حسب الطلب .

فقالت كاميليا في ضجر :

ــ اسمع يا اخينا .. انني متعبة جدا .

ــ انني اعرف يا عزيزتي ، ولسوف اصل الى جوهر الموضوع حالا انني أريد ان تعملي في شركتنا ، هذا كل ما اريده منك ببساطة.

ــ اي عمل ؟

ـ مضيفة مثلا في أول الامر ، ويمكنك بعد ذلك ان تترقي حتى تصبحي يوما سكرتيرتي الخاصة .

وازداد شعور كاميليا بالضيق ، ثم القت نظرة على مدخل الكهف الذي ترقد فيه المسز بريكارد ، ثم قالت في شيء من التهكم :

ـ وما راي زوجتك في هذا الاقتراح ؟

ـ عجبا ، ما شانها هي بهذا ؟ انها لا تدير اعمالي ؟

ـ اسمع يا اخينا ! انني متعبة جدا كما سبق ان قلت لك . وما كان يتحتم عليك أن تمهد بكل هذا الحديث الطويل لما تريد . انني فتاة اتمنى الزواج ، واقسم انني ساكون من احسن واخلص الزوجات . ان كل ما اريده في الحياة ان أستقر ، وأن اعفي نفسي من الشعور بالقلق الدائم ، والجري المتواصل وراء لقمة العيش . بل انني في سبيل الاستقرار ارضى بالحياة مع رجل .. ولو كان متزوجا !

فقال بريكارد :

ـ انني لا أفهم ماذا تعنين ؟

ـ بل انك تفهم تماما . وانك ستشعر بالنفور مني لانني لا احاور وأداور في الحديث مثلك . انك تريد ان يستغرق الامر بيننا شهورا ؟ وربما حتى ابقى اترقى الى ان اغدو سكرتيرة خاصة لك ، او اصبح عشيقة لك ، فلماذا كل هذه المحاورة والمداورة ؟ انني في حالة افلاس تام الان ، وليس من طبيعتي الانتظار شهورا من اجل شيء يمكن الحصول عليه في ايام . وهناك أمر اخر مهم ، انك تقول ان زوجتك لا تدير اعمالك ، ولكنك مخطيء في هذا القول . ان زوجتك تدير كل شيء في حياتك ، بل انها تفكر لك ،ومن المحتمل انها هي تختار لك سكرتيراتك ، لانها سيدة قوية الارادة حادة الذكاء وانني آسفة ، لقد كنت اريد ان أكون لطيفة معك ، ولكنني أشعر بالارهاق

ـ انني لا اعرف ماذا تعنين بحديثك هذا يا مس أوكس ؟

ـ بل انك تعرف ، اتريد الدليل على ان زوجتك التي هي تتحكم في كل شيء في حياتك ؟ من الذي اشترى لك ربطة العنق هذه ، اليست هي ؟

فارتبك المستر بريكارد وغص بريقه ، ثم قال متلعثما :

ـ نعم ، نعم ، ولكن ..

ـ انتظر ! انها ستعرف كل شيء عني وعنك في لحظة . نعم . وارجوك ان تدعني اتحدث معك بصراحة . انك تأبى ان تطلب من الفتاة التي تشتهيها ما تريد مباشرة ، وانما تفضل ان تحاور معها وتداور ، وان تغريها بالعمل وتنتظر . ولكن الطريقة العملية يا اخينا هي انك ما تقع في غرامي فتطلق

زوجتك وتتزوجني ، أو تستأجر لي مسكنــا ، وتجري علي مرتبا شهريا ومعاشا مضمونا فيما بعد ، وليس هناك وضع ثالث لامر كهذا . لقد تجاوزت السن التي يمكن أن يخدعني فيها أمثالك !

فرفع بريكارد راسه وقال بشموخ :

ــ أسمعي أن زوجتي لا تدير أعمالي ، من اين جئت بهذه الفكرة ؟

ــ أوه ، دعك من المراوغة ! انني أرضى ان ادخل جحر مجموعة من الافاعي السامة لاواجهها عزلاء ، ولا ارضي ان اعيش مع زوجتك ثلاثة ايام لان الافاعي السامة ستكون ارحم منها اذا هي كرهتني .

ــ انني مندهش لموقفك هذا . فأنا لم افكر في شيء من كل هذا ، وانما كنت احاول فقط ان اعرض عليك عملا فاما انتقبلي او ترفضي .

ــ اوه .. اذا كنت تستطيــع ان تخــدم نفســك وتصدق فاللــه سيكون في عون الفتاة التي تقع بين يديك ، انها لن تعرف ابدا حقيقة موقفك منها .

فابتسم بريكارد وقال :

ــ انك متعبة الان . وعندما تستريحين فربما استطعنا ان نستانف الحديث في هذا الموضوع بهدوء .

وتنهدت في ارتياح عندما لاحظت ان البرود يشيع في صوته . لقــد اطمانت من ناحيته اخيرا ، وعرفت كيف تسكب على عواطفه ماء باردا . وانها غير نادمة ، لان رجل كهذا كفيل بأن يخرجها عن طورها من فرط القلق والسأم .

وكان المستر بريكارد في تلك اللحظة يرى وجهها في صورة اخرى .. كان يرى امارات القسوة والسخط والتحدي واضحة عليه ، وكان يشعر من نظراتها المتهكمة الساخرة انه يجلس أمامها عاريا تماما ، وضاعت كل محاولاته لكي يستر نفسه . وكان في نفس الوقت يعجب من طريقتها العجيبة هذه في الحديث ، وفي قولها « يا اخينا »بين الحين والاخر ، وما كان ليخطر ببالهانها فتاة سوقية الى هذا الحد ومن ثم قال لها بشيء من الجفاف :

ــ الامر ببساطة اني عرضت عليك عملا ، واذا كنت لا تقبلينه فهذا شأنك ، ولكن ليس هناك ما يدعو ابدا لهذه السوقية في الحديث . كــان ينبغي ان تتصرفي وان تتحدثي كسيدة مهذبة .

فقالت بصوت لا يخلو من حدة ايضا :

ــ اسمع يا اخينا ، انني استطيع ان احدثك نفس اللهجة المتعالية التي تحدثني بها ، ثم ماذا تعني من عبارة سيدة مهذبة ؟ اكنت ايها السيد

المهذب تستطيع ان تراود سيدة مهذبة بهذه الطريقة من المحاورة والمداورة ؟ اسمع ، لسوف أقول لك شيئا . انك تظن انك رايتني من قبل ، فاذا كنت عضواً من نادي «بيروز» او « الورلد » او « التوفنيتي » او « الثري توزاند » او « الاكتاجون » ..

ــ انني عضو في نادي الاكتاجون .

ــ حسنا ، هل تذكر الفتاة التي جلست عارية تماما في احدى حفلاتكم الترفيهية ، داخــل كأس بللورية كبيرة كانت تدور امــام عيونكم العجوزة المحملقة ، لقد كنت اعجب منكم أيها العجائز المراهقون ، واتساءل : ماذا تستفيدون من هذا ؟ ولكني لم اهتم بأن أعرف الاجابة ، ولكن الذي كنت اعرفه ان عملية الاستعراض هذه كانت محنة بالنسبة لي ..

وتهدج صوتها ، ثم اذ هي تنهض فجأة وتردف قائلة :

ــ انني ذاهبة لاتمشى قليلا يا دون جوان . ولكنني ارجو ان تبتعد عني ولا تثير المتاعب لي ، فانا أعرفك ، وأعرف زوجتك ، وأعرف ابنتك ، واراهن انها الان في البيت المهجور بين ذراعي السائق جون !

وفتح بريكارد فمه ليقول شيئا ، ولكنه رآها تنصرف بسرعة ، فراح يرقب اهتزازات جسمها وهي تسير ، ويتأمل استدارة ساقيها ، ويخلع بذهنه كل اثوابها ، ويجعلها تقف عارية تماما بجانب كأس بللورية كبيرة ثم يراها وهي تدخل فيها ببطء ، واذا هو يحس بما يشبه اطراف الابر تلسع رقبته ، واذا هو ينهض ويلقي نظرة طويلة في اتجاه البيت المهجور ، ثــم يتقدم بخطوات سريعة نحو الكهف الذي ترقد فيه زوجته ، ثم اذا هو يندس تحت الغطاء بجانبها .

وفتحت زوجته عينيها وابتسمت له ثم اذا هي تهمس فجأة في اندهاش

ــ اليوت ؟ ما الذي دهاك ، ما هذا الذي تفعله ؟

فهمس لاهثا :

ــ لا تلفظي ، حذار ان تلفظي بحرف واحد . السـت زوجتي ؟ اليس للرجل اي حق في زوجته ؟ انني لن اقبل بعد اليوم أن اعامل كالكلب الذليل

فهتفت قائلة في فزع :

ــ انك مجنون يا اليوت . ربما يرانا احد ، أوه ، ماذا دهاك ؟؟انك تمزق ثوبـــي .

ــ انا الذي دفعت الثمن ، وانا الذي سأشتري لك غـــيره . والان ، كفى حديثا .

الفصل الرابع عشر

حرارة المراهقة

قالت ميلدرد لجون وهما يغادران المخزن :

ـ انظر ، لقد انقطع المطر ، وصفت السماء ، وأراحت الشمس اشعتها على الجبال ، فما أجمل منظر الطبيعة ، وما أعذب الحياة !

وابتسم جون ولم يجب ، بينما قالت هي :

ـ أتعرف أنني اشعر بابتهاج عجيب .. عجيب ؟

ـ بالتأكيد .

ـ الا يخامرك مثل هذا الشعور ؟ حسنا ، ارجو ان تمسك لي المرآة حتى اعيد تصفيف شعري وتجميل وجهي .

وبعد ان مشطت شعرها ووضعت بعض فنون التجميل على وجهها قالت :

ما رايك في يا جون ؟

ـ رائعة انني معجب بك .

ـ فقط ؟

ـ اتريدين ان اكذب ؟

ـــ أعتقد ان قليلا من الكذب في هذه الحالة لا بأس به . الن تأخذني الى المكسيك ؟

ـــ لا .

ـــ هذه هي النهاية اذن . الن يكون هناك مزيد ؟

ـــ من يدري !

فأعادت المشط وادوات التجميل في حقيبة يدها ، وازالت عن كتف جون بعض القش العالق به ، ثم قالت :

ـــ هل تصدق ان ابي وامي لا يعرفان شيئا من هذا ، واني أعيش بينهما كالغريبة ، فلا استطيع ان اسأل امي عن سر هذه الرغبات الحارة التي كانت تزلزل كياني منذ ان بلغت سن الخامسة عشرة ؟

وقطعت فجاة هذا الحديث وقالت :

ـــ اذا لم نذهب الى المكسيك ، فماذا سنفعل ؟

فقال جون وهو يستدير في اتجاه السيارة :

ـــ سنعود الى اصحابنا حيث اخرج السيارة من الحفرة واقودها بكم الى مدينة سان جوان دي لاكروز .

ـــ هل أتناول يدك في يدي قليلا ؟

فأعطاها يده ، وأخذت تضغط عليها بيدها ، ثم قالت :

ـــ الا تقول لي شيئا مقابل .. مقابل .

فنظر اليها ضاحكا وقال :

ـــ ماذا تريدين ؟

ـــ لماذا جئت الى هذا المكان ؟ هل كنت واثقا بأني سأتبعك اليه ؟

ـــ هل تريدين الحقيقة أم ... قليلا من الكذب ؟

ـــ الواقع اني اريد كليهما ... ولكن لنبدأ بالحقيقة أولا .

ـــ الحقيقة اني كنت في الطريق الى الهرب . كنت أنوي الرحيل الى المكسيك حيث أختفي تاركا الركاب يدبرون أمورهم بأنفسهم .

ـــ أوه ، ولماذا تفعل هذا ؟

ـــ لا ادري !لقد فشل التدبير لسبب لا أدريه ، وخذلتني عذراء جواديلوب وكنت قد ظننت اني خدعتها . ويبدو انها لا تحب أن يخدعها أحد ، ولهذا انقذتني حرارة الرغبة في مواصلة الهرب .

ـــ انك لا تعتقد حقا ان هذا هو السبب ، وانا لا اعتقد ايضا انه هو ، فما هو السبب الحقيقي ؟

ـ السبب في ماذا ؟

ـ السبب في ذهابك الى ذلك البيت المهجور .

فسار جون في طريقه وقد ارتسمت على وجهه الاسمر ابتسامة عريضة واخيرا نظر اليها بعينين كلهما دفءثم قال :

ـ لقد جئت الى ذلك البيت المهجور وانا ارجو في أعماق نفسي ان تنصرفي عن السيارة لتتجولي في المنطقة قليلا ، ثم ترين البيت من بعيد فتأتين وعندئذ أستطيع ان . . ان ، وانت تعرفين الباقي . فلفت ذراعها حول ذراعه ومسحت خدها بقوة في كم سترته ، ثم تمتمت قائلة :

ـ لشد ما أتمنى لو استطعنا ان نعيش في ذلك المخزن بضعة ايام! ولكن هذا كما نعرف مستحيل ـ وداعا يا جون .

ـ وداعا يا ميلدرد .

وسارا معا في صمت نحو السيارة .



كان فان برانت راقدا على المقعـد الخلفي الممتد بعرض السيارة ، وكانت عيناه مغمضتين بلا نوم . وكان يعتمد براسه على ذراعه اليمنى مما جعل ثقل الرأس يضعف حركة مرور الدم الى يده اليمنى .

ولما غادر المستر بريكارد السيارة مع كاميليا ، بقي بمبلز ونورمـا بمفردهما صامتين الى حين .

وراح فان برانت ينصت الى دبيب الشيخوخة في عروقه ، بل انه كاد يحس بحفيف سريان الدماء في عروقه الخريفية الجافة ، ويكاد يسمع هذه الغمغمة المتكسرة التي تصاحب نبضات قلبه . وشعر ان يده اليمنى سوف تتخدر ، ولكن يده اليسرى هي التي كانت تثير القلـق في نفسه ، ان بشرة هذه اليد لم تعد حساسة ، وانما غدت كالمطاط السميك . وانه كثيرا ما كان يدلكها كلما انفرد بنفسه ، ولكن على غير جدوى ، ورغـم انه كان يعـرف دلالة هذه الحقيقة ، الا انه اصر على التجاهل .

وانتقل بمبلز الى المقعد الذي تجلس عليه نورما ، فجمعت هذه اطراف ثوبها بلباقة وأفسحت له مكانا ، وتزحزحت قليلا نحو النافذة .

وقال بمبلز وهو يغمز بعينه :

ـ ترى ماذا يريد ذلك الرجل العجوز من كاميليا !

ـــ انني لا ادري ، ولكنني أؤكد لك أنها ستعرف كيف توقفه عند حده اذا اراد ان يعبث بها . انها فتاة رائعة .

أوه انني لا أجزم ، لان هناك فتيات رائعات غيرها

فثارت نورما وقالت بلهجة احتجاج :

ـــ مثل من ؟

مثلك .

ولم تكن تتوقع هذه الاجابة ، فأحنت راسها وقد اضطرم وجهها بعنف وراحت تتأمل اطراف اصابعها وتحاول ان تتمالك نفسها .

وعاد بمبلز يقول :

ـــ لماذا تركت العمل مع المستر والمسز شيكو ؟

ـــ لان المسز شيكو لم تكن لطيفة معي .

ـــ انني اعرف هـــذا ، لانها لا تتلطف مع احد اطلاقا . ولكنني كنت اتمنى ان تبقي ، اذ ربما توطدت العلاقات بيني وبينك يوما .

ولم تجب نورما ، وعاد بمبلز يقول :

ـــ استطيع اذا شئت ان آتي لك بفطيرة محشوة بمربى العنب ، فما رايك ؟

ـــ لا لا شكرا . انني لا استطيع ان آكل شيئا .

ـــ لماذا ؟ هل تشعرين بمرض ما ؟

ـــ لا .

ـــ حسنا ، اذا رايت ان تعودي للعمل في استراحة ريبلز كورنر ، فربما امكننا ان نذهب معا الى سان سيدرو في مساء السبت من كل اسبوع للرقص ومشاهدة الافلام السينمائية وما الى هذا .

ـــ انك لم تفكر في هذا من قبل !

ـــ لانني لم اكن اعرف انك .. انك تميلين الي .

وأحست بشيء من النشوة والتحفز يسري في عروقها ورأت ان هذه « محاورة »لطيفة لا بأس من التمادي فيها ، ومن ثم . قالت :

ـــ حسنا ما الذي جعلك تظن أنني .. أميل لك الان ؟

ـــ لانك اصبحت مختلفة عما كنت ـــ حدث تغير كبير في مظهرك . انني معجب بالطريقة الجميلة التي تصففين بها شعرك .

ـــ أوه شكرا . ولهذا فليس هناك اي سبب يدعوني الى العودة للعمل في قاعة الطعام في استراحة كورنر . ان احدا هناك لن يراني ويظهر اعجابه بي .

فقال بمبلز بشهامة :

ـ يكفي أن أراك وأعجب بك . ارجو ان تفكري في العودة وانا اضمن انهم سيرحبون بك .

فهزت راسها وقالت :

ـ لا انني حين أترك العمل ، فأنا أتركه نهائيا ، انني لا استطيع ان اعود اليه راكمة . ثم ان المستقبل الان أمامي واضح ، ونحن قد فكرنا فيما سوف نفعله .

ـ فكرت مع من ، وما هو الذي فكرت فيه ؟

ـ فكرت مع كاميليا وقررنا أن نستأجر مسكنا فيه المقاعد الوثيرة ، ومصابيح أنيقة وراديو ، وتلفزيون ، وبيانو ، وسوف نعتني بمظهرنا ، ونرتدي الملابس اللائقة ، ونحضر الحفلات ، وربما نقيم ايضا عندنا ولائم للعشاء .

فقال بمبلز ساخرا :

ـ لغو فارغ ، انك لن تستطيعي ان تفعلي شيئا من هذا ابدا .

ـ لماذا ؟ ما الذي جعلك تقول هذا ؟

ـ هذه هي الحقيقة ، ولا داعي للخيالات . ويحسن ان تعودي الى ريبلز كورنر ، وانا الان أدرس بالمراسلة هندسة الراديو ، وسوف نخرج معا ، ونسهر معا ، ومن يدري ، فربما ينتهي الامر الى الزواج . وانا أعرف صديقا تزوج في مثل سني ، والزواج المبكر يجعل الانسان طموحا .

ونظرت نورما بامعان الى وجهه لترى هل هو جاد أم هازل ؟ ولكنه أخطأ تفسير نظرتها ، وظنها تتأمل « حب الشباب » الذي يشوه وجهه ، فقال بخجل ومرارة والم :

ـ أنا أعرف . أعرف أنك لا تستطيعين ان تخرجي مع شاب مشوه الوجه «بحب الشباب» مثلي . ولكنني اؤكد لك اني لم ادخر وسعا في علاجه لقد أنفقت أكثر من مائة دولار على الاطباء في شراء الادوية ، وقد اكد لي أحد الاخصائيين ان هذه الحالة ستزول من تلقاء نفسها بعد عامين على الاكثر . حسنا ...

ثم أردف قائلا بعنف وسخط :

ـ حسنا ، اذهبي الى مسكنك الجديد ، ومن يدري ، فربما اتيحت لي الفرص لاتمتع في الحياة بأشياء لا تحلمين بها . وأنا في غير حاجة الى رثاء أحد .

ونظرت نورما اليه في أندهاش ، لقد كانت تظن انها فقط هي التي

تشعر بمثل هذه الآلام النفسية . انها في حياتها لم تجد أحدا يطلب منهـــا ان تقف بجانبه ، وتملأ حياته بالعطف والثقة بالنفس . ومن ثم احست بموجة من الحنان تنفجر في أعماق كيانها ، واذا هي تقول له بصوت يسيل رقـــة وعذوبة :

ـــ أوه ارجو أن لا تظن بي هذا . لان الفتاة التي يهمها أمرك لا تهتم بمسألة بسيطة كحب الشباب . انها حالة لا تلبث ان تزول بعد عام او عامين كما أكد لك الطبيب .

فقال بصوت باك :

ـــ انني في بعض الاحيان اتعذب بحيث اكاد افضل الموت على الحياة .

ـــ أوه ، لا ، لا تقل شيئا كهذا

ـــ انني انسان بائس لا أجد احدا يحبني ، وليس هناك من يحب ان يتعامل معي ! ...

فعادت نورما تقول :

ـــ لا لا ، لا تقل هذا ، انك مخطيء ، فأنا .. فأنا احبك .

ـــ لا ، أبدا .

فوضعت يدها على ذراعه لتؤكد له صدق حديثها . ومد يده وامسك بيدها في رفق ، ثم ضغط عليها فاستجابت له وضغطت على يده بدورها ، وهنا استدار في مكانه ، والقى بذراعيه حولها وضغط بوجهه على وجههـــا ليقبلها ، ولكنها هتفت قائلة :

ـــ لا ، لا ، ابتعد .

فضاعف من عناقه لها ، فقالت :

ـــ لا ، حذار ، ان الرجل العجوز نائم وراءنا .

فهمس بميلز قائلا :

ـــ الا تسمعين عطيطه ؟ انه مستغرق في نوم ربمـــا لا يصحو منه ، تعالي الي .

فدست مرفقها في صدره لتبعده عنها بينما كانت يداه تعبثان بثوبها وتحاولان تمزيقه وهتفت به آمرة وقد ادركت انها خدعت فيه :

ـــ دعني وشأني ، دعني انصرف من هنا . كفى . كف عني .

فقال بصوت كالفحيح وقد تألقت عيناه بالجنون وهو يحاول تمزيق ثوبها .

ـــ تعالي ، تعالي الي ، يجب ..

ــ أوه ، أرجوك .. ان كاميليا قد تأتي في أية لحظة . ماذا نقول لو رأتنا هكذا ؟

فتوقف بمبلز برهة وقال في عنف وسخط :

ــ وماذا يهمنا من هذه الشريدة الضائعة !

وفتحت نورما فمها ، ونظرت اليه في غضب قاتل ، ثم وثبت واقفة وانهالت على وجهه بقبضتها ، فتراجع مذعوراً وهو يرفع يديه ليحمي وجهه من ضرباتها . وكانت هي تهاجمه كقطة متوحشة وتقول :

ــ أيها الثعلب الخبيث ، أيها الثعلب القذر الحقير . كيف تجرؤ ان تقول هذا عن ملاك في صورة انسان .. !

وراحت تضربه وتركله وتدفعه الى الممر الواقع بين صفي المقاعد ، حتى اذا سقط على الارضية من فرط المفاجأة والذهول ، اندفعت هابطة من السيارة ، وراحت تجري وهي تهتف ساخطة :

ــ الثعلب الحقير ، الثعلب القذر المنتن !

ونهض بمبلز مرتبكا ، واطل من النافذة ، ورآها وهي تجري بعيدا ، ولكنه لم يدر ماذا يستطيع ان يفعل .

ورأت كاميليا صاحبتها نورما وهي مقبلة نحوها تجري ، فنهضت وتلقتها بين ذراعيها ، واجلستها بجانبها وهي تقول لها :

ــ ماذا بك يا عزيزتي ؟ ماذا حدث ؟

فرفعت نورما وجهها المبلل بالدموع وتمتمت قائلة :

ــ لاشيء لا شيء .

ــ لا لا ، يجب أن تصارحيني بما حدث .

فرفعت نورما يديها ومسحت عينيها بظاهرها مفسدة بذلك كل ما صنعته كاميليا في وجهها من فنون التجميل ، ثم قالت :

ــ انني لا أريد ان أتحدث عما حدث .

ــ حسنا يا عزيزتي ، ليكن لك ما تريدين . انت وشأنك .

ــ لقد أراد بمبلز أن .. أن ينالني !

ــ ان بمبلز أو غيره لايستطيع أن ينال أي فتاة رغما عنها . اطمئني من هذه الناحية ولا داعي لكل هذه الانفعالات .

ــ ولكن ليس هذا هو السبب الاساسي لغضبي منه

ــ اذن ما هو السبب ؟

فعادت نورما تمسح عينيها ، ثم تقول :

ــ لقد ضربته وركلته لانه قال .. قال عنك ، انك شريدة ضائعة .

الفصل الخامس عشر

أضواء في أفق الليل

اسرع جون في سيره حتى اضطرت ميلدرد لان تقول له :

— هل من الضروري ان نجري هكذا ؟

— انني اريد ان اخرج السيارة من المنخفض قبل ان يظلم الجو .

— اتعتقد ان في مقدورك اخراجها ؟

— نعم .

— حسنا ! لماذا لم تحاول أن تخرجها بدلا من تركنا والابتعاد عنا

فخفف من سرعة مسيره وقال :

— لقد اخبرتك بالسبب .. اخبرتك به مرتين .

— آه ، نعم . اذا فقد كنت تتعمد هذا حقا ؟

— كنت اتعمد كل شيء .

ووصلا الى السيارة قبل ان يغيب قرص الشمس وراء المرتفعات الغربية ، وكانت الاشعة الغاربة تنطلق الى بقايا السحب وتنعكس منها وتكسو المنطقة بضوء وردي جميل .

وبرز بمبلز من وراء السيارة عندما راى جون يصل اليها ، ثم قال له :

— متى ستحضر سيارة الانقاذ ؟

— لم اتمكن من استدعاء احداها . وعلينا ان نخرج السيارة بأنفسنا، وسنحتاج الى معاونة الجميع .. اين هم ؟

— انهم متفرقون هنا وهناك .

— حسنا ، استدعهم وناولني المشمع الكبير .

— ان تلك السيدة تنام عليه ، في ذلك الكهف .

— حسنا ، ايقظها وهاته . وأريد ايضا ان تجعلهم يجمعوا كل ما يستطيعون جمعه من الاحجار والصخور ، وسوف آتي انا ببضعة الواح او كتل من الخشب من سياج المزرعة القريبة . هلم اسرع ريثما استخرج من السيارة بعض الآلات والجاروف والمعول والرافعة الكبيرة .

وصعد جون الى السيارة ، فلما رأى فان برانت راقدا على المقعد الخلفي ، قال له :

ــ ارجوك ان تنهض حتى اخرج بعض الادوات من الصندوق .

وفجاة انحنى على الرجل وقد ادرك من عينيه المفتوحتين ، ومن حشرجة انفاسه انه في حالة احتضار ، فأسرع وطرق على زجاج نافذة السيارة مناديا على بمبلز ، فلما اسرع هذا اليه ، قال له :

ــ أن هذا الرجل مريض جدا ، اسرع واتني بقطعة صغيرة من الخشب لا يقل طولها عن عشرين سنتيمترا ، واستدع احدا لمعاونتي على رفعه .

وعاد بمبلز بقطعة الخشب وبالمستر بريكارد ، فقال له جون :

ــ ارجو أن تساعدني على زحزحته قليلا حتى استخرج ما اريد من ادوات ، وبعد ذلك ارجو ان تضغط بقطعة الخشب هذه على لسانه حتى لا ينحشر في حلقه ويختنق .

وجلس المستر بريكارد بجوار المريض ممسكا بقطعة الخشب التي تضغط على اللسان . وكان يشعر بالغثيان من منظر الرجل ، ومن الرائحة المنبعثة من فمه ، ولكنه قرر ان يقاوم وان يتحول بأفكاره بعيدا عنه .

وحلقت افكاره حول ما حدث بينه وبين زوجته . وشعر فجأة كأن سهما باردا اخترق قلبه حين رآها تصعد الى السيارة وتجلس على اول مقعد فيها دون ان تلتفت اليه او توجه له كلمة واحدة .

وقال لنفسه :

« لا شك انني فقدت عقلي ، والا كيف طاوعتني نفسي على اغتصابها هكذا ؟ » .

وفي خارج السيارة كان بمبلز بكل ملابسه الفاخرة راكعا في المنخفض الممتلىء بماء المطر ، يتناول الاحجار والصخور من نورما وكاميليا ويدسها تحت العجلة الخلفية اليسرى بعد ان رفعها جون بالرافعة ، وكانت ميلدرد تجري هنا وهناك تجمع الاحجار من كل نوع وتكومها بالقرب من حافة المنخفض ، وكان جون قد استطاع ان يأتي من سياج احدى المزارع ببضعة الواح من الخشب وراح يضع بعضها تحت العجلة المرفوعة ليثبت قاع المنخفض فلا تغوص العجلة فيه مرة اخرى .

ولما ارادت كاميليا ان تساعد بمبلز في دس الحجارة تحت العجلات امسك ارنست هورتون بيدها ليمنعها قائلا :

ــ انك ستفسدين ثيابك بقذارة الاوحال اذا هبطت .

ـــ وهل سأكون اقذر مما انا الان ؟
فأراح مرفقه على جانب السيارة وقال :
ـــ الا ترغبين في ان تعطيني رقم تليفونك ؟ فانني لا اجد ما يمنع من ان نخرج سويا بين الحين والاخر بعد وصولنا الى لوس انجلوس .
ـــ انني الان بلا مسكن ، وليس لي من ثمة رقم تليفون .
ـــ حسنا ، انني لا اريد ان ارغمك .
ـــ اؤكد لك ان هذه هي الحقيقة . اين ستقيم انت في لوس انجلوس ؟
ـــ في فندق هوليوود بلازا .
ـــ حسنا اذا رأيت أن تكون في بهو الفندق في الساعة السابعة من مساء الغد ، فانه يسرني ان آتي اليك .
ـــ عظيم جدا ، وانا يسرني ان أمضي بك عندئذ الى مطعم ماسو فرانك لتناول العشاء .
ـــ انك لطيف !
ـــ وانت الطف .
وبعد نصف ساعة من الجهد المتواصل ، تمت جميع الترتيبات الاولية لاخراج السيارة من المنخفض ، ولم يبق الا ان يجلس جون في مقعد القيادة ، ويدير المحرك ويحاول ان يخرج بالسيارة من المنخفض بمعونة الركاب الذين كان عليهم آن يدفعوا بها لمساعدة المحرك على جذب السيارة الى الخارج .
وجلس جون في مقعد القياده ، وادار المحرك ، وتركه حتى يسخن ، ثم تنهد بعمق ، واطل من النافذة وطلب من بمبلز ان يشرف على تنسيق حركات الركاب في دفعهم الجماعي للسيارة .
وبدأ جون في قيادة السيارة خارج المنخفض ، وتعثرت العجلات الخلفية قليلا ، ولكن قوة المحرك واستماتة الركاب في الدفع جاء بالنتيجة المنشودة ، واذا بالسيارة تخرج من المنخفض سالمة .
وقال جون لتمثال العذراء :
« شكرا جزيلا يا سيدتي ، ان كل ما ارجوه منك الان ان اجد اليس قد افاقت من السكر عند عودتي اليها » .
ولم تعد المسز بريكارد مكفهرة السمات او محزونة النفس ، وانما اخذت الابتسامة السعيدة ترف على شفتيها وهي تفكر في أنواع النباتات النادرة من فصائل « الاوركيد » التي سوف تستنبتها في البيت الزجاجي .
وقال بمبلز لجون في مودة وتقدير :

ــ اذا كنت متعبا يا مستر شيكو ، فدعني اقود السيارة بدلا منك الى سان جوان دي لاكروز .

ــ لا لا ، شكرا يا كيت .

وقالت ميلدرد لنفسها وهي ترنو الى جون من بعيد :

« انني لن أستمر في هذا اللون من الحياة الذي جعل الشبان الصالحين للزواج بي ينفرون مني ، لاني اريد ان أتزوج في اقرب فرصة ممكنة .. » .

واقترب ارنست هورتون من المستر بريكارد الذي كان لا يزال جالسا بجوار العجوز فان برانت ، يضغط على لسانه بشريحة الخشب حتى لا يدعه ينحشر في حلقه ويسبب له الاختناق .

وقال ارنست هورتون له :

ــ هل تسمح لي أن احل محلك كي تستريح قليلا ؟

ــ لا لا ، شكرا ، ترى ماذا اصابه ؟

ــ اعتقد انها جلطة دموية .

ــ وهل سينجو منها ؟

ــ ربما ، اذا لم تكن الثالثة . والان ، انني ساكون في فندق هوليوود بلازا ، ويمكنك الاتصال بي تليفونيا لكي نتفق على موعد اللقاء .

فتردد المستر بريكارد برهة ، ثم قال باسما :

ــ اعتقد انني ساكون مشغولا جدا في الايام المقبلة ، ولعل من الاوفق ان تاتي الى مكتبي ذات يوم بالشركة ، ويمكننا عندئذ ان نتبادل الحديث في مختلف المشروعات .

ليكن ما تريد .

واطلت نورما من النافذة حيث رات الظلام ينتشر في صفحة السماء ، ولما لمحت عند حافة قمم الجبال البعيدة اول نجم يضيء ، قالت تخاطبه :

« يا أول نجم ، يا اول نجم اراه الليلة ، حقق املي ، حقق املي الذي ارجوه الليلة » .

واستدارت كاميليا نحوها بعينين مثقلتين بالنوم وقالت لها :

ــ ماذا تقولين يا عزيزتي ؟

فصمتت نورما برهة ثم قالت :

ــ اقول سوف ننظر كيف ستسير الامور .

ــ آه نعم ، سوف ننظر كيف ستسير الأمور .

وفي تلك اللحظة تالقت في أفق الظلام البعيد عقود خافتة من الاضواء التي اخذت تزداد وضوحا كلما اقتربت السيارة منها .. انها اضواء نهاية المطاف !

« تمت »

هذا الكتاب

الا . . الا تشتهيني ؟

انني اشتهيك بكل تأكيد

اذن فأنت لا تريد ان تتعب نفسك في مراودتي عن نفسي لانك واثق باني ساقع بين ذراعيك في النهاية بلا اي مجهود !

اوه ارجو الا تحشريني في جدلك مع نفسك . انني اكبر منك سنا ، وانا اشتهيك تماماً واتمنى ان تكوني بين ذراعي حالا . ولكنني تعودت بطبعي على الصبر ، ولا سيما في هذه الامور ، لانه كلما طال الصبر عليها ازدادة حلاوة .

فلوت شفتيها وقالت :

كان يجب ان اكرهك جدا ، لانك تحرمني من كل كبرياء ، انك لا تتيح لي الفرصة لكي اشعر بأني قاومتك ، ولو قليلا ، على الاقل

لقد ظننت اني احترم كبرياءك عندما تركت لـــك حرية الاختيار

هذا تفكير عقيم

عجبا ! ان النساء في بلادي هكذا ايضا ، لا يستسلمن الا بعد الرجاء او المقاومة . !

يطلب في المملكة العربية السعودية
من الوكيل العام سعد محمد الهنداس
ص. ب ٣٤٢٣ تلفون ٨٢٥٧٥ الرياض